

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People's democratic and Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of higher education and scientific research

University of Tlemcen

Faculty of litter and Arts

Department of Arts



"جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان

كلية الآداب والفنون

قسم الفنون

الشعبة: فنون بصرية

التخصص: دراسات فنون تشكيلية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د.

الموسومة بـ:

دور الفنون التشكيلية في العلاج النفسي للأطفال.

إشراف الأستاذ:

- أ.د. بلبشير عبد الرزاق

إعداد الطلبة:

- فقير سعيد

- ضامري فتحي

الأستاذ	لجنة المناقشة	الصفة
أ.د. بن باجي ليلي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. بلبشير عبد الرزاق	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. ناصر أمينة	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية: 2025-2026





2026

إِهْدَاء

إلى الوالدَيْن الكريمين، عرفاناً بالجميل الذي قدّمناه لنا.

إلى أهل البيت والأقارب والأصدقاء.

إلى الأساتذة الذين علّمونا، نهدّي هذا البحث.

فقيرسعيد، ضامري فتحي





وَأَحْمَدُ عَمَلِي لِلَّهِ الْعَلِيِّ



2026

في ختام هذا الجهد المتواضع، أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ

المشرف الدكتور " بلشير عبد الرزاق " الذي أثار بي هذا البحث بتوجيهاته

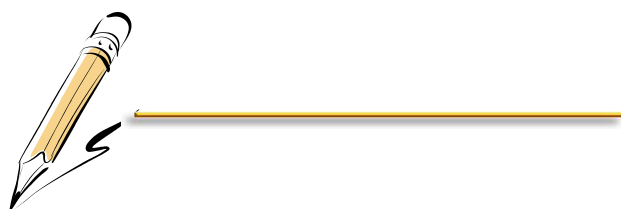
السديدة وصبره الجميل، كما أتوجه ببالغ التقدير إلى السادة الأساتذة

أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتقييم وتوجيه هذا العمل.

وَفِي الْأَخِيرِ نَحْمَدُ اللَّهَ

كَثِيرًا لِتَوْفِيقِي.





مُقِيْمَةٌ

تُعَدُّ مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يُبنى فيها الهيكل النفسي والوجداني للإنسان، حيث تتشكل شخصيته وتتحدد ملامحها الأساسية. وتُعتبر الفنون التشكيلية من الوسائل الفعّالة التي تساعد على معالجة الاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال، خاصة أولئك الذين يعانون من اضطرابات أو تأخر في النمو أو الحركة. ولقد أصبح الاهتمام بالطفولة ضرورة ملحة، إذ أن الطفل هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وأي خلل في هذه المرحلة ينعكس سلبيًا على مستقبل الفرد والجماعة. ومن هنا جاءت الحاجة إلى البحث في الوسائل التي تُسهم في تنمية شخصية الطفل وتعديل سلوكه.

ومن هذا المنطلق تتبلور لدينا الإشكالية التالية: كيف يمكن للفنون التشكيلية أن تُسهم في معالجة الاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال، وما هي الآليات التي تجعلها وسيلة فعّالة في هذا المجال؟

ومن خلال هذه الإشكالية قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

- الفنون التشكيلية تُساعد على التعبير عن المشاعر المكبوتة لدى الطفل.
 - تُساهم في تنمية القدرات الإدراكية والحركية.
 - تُعد وسيلة للتفريغ الانفعالي والتوازن النفسي.
- واخترنا هذا الموضوع لدوافع الذاتية ودوافع موضوعية نذكرها على النحو التالي:
- أ- الدوافع الذاتية:**

- الاهتمام الشخصي بمجال الطفولة والفنون التشكيلية.

ب- الدوافع الموضوعية:

- الحاجة الأكاديمية إلى دراسة العلاقة بين الفن التشكيلي والجانب النفسي للطفل.

- ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بشكل معمق.
- وتكمن أهمية الموضوع فيما يلي:
- يساهم في إثراء الدراسات التربوية والنفسية.
- يُبرز دور الفنون التشكيلية كوسيلة علاجية وتربوية.
- يُساعد على إيجاد حلول عملية لمشكلات الأطفال الذين يعانون من اضطرابات سلوكية أو نفسية.

ومن أجل إجراء هذا الدراسة بصرامة علمية، اقتضت طبيعة البحثية الربط بين منهجين؛ حيث اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في الجانب النظري لتأصيل المفاهيم فلسفياً ونفسياً وتربوياً، وفي الجانب الميداني اعتمدنا على المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة مستعينين فيه بالتقنيات الدقيقة للملاحظة الميدانية المباشرة، والمقابلة، والاختبارات الإسقاطية، وتحديدًا اختبار بيت العائلة للوس كيرمان.

وتم اختيار عينة قصدية مكونة من ثلاث حالات لأطفال مشخصين باضطرابات مختلفة (فرط الحركة وتشتت الانتباه، التأخر الذهني، وطيف التوحد). وقد أجريت الدراسة الميدانية داخل المركز النفسي البيداغوجي للأطفال المعاقين ذهنياً (الشهيد علم محمد) في فترة تمتد على مدى سنتين، وتم جمع البيانات من شهر ماي الخامس إلى غاية 2026، إلى غاية استكمال الجلسات العلاجية للحالات المدروسة تحت إشراف الطاقم العلمي والتربوي.

وللإلمام بجوانب الموضوع، تم هيكلة هذه المذكرة في فصلين متكاملين. جاء الفصل الأول كفصل نظري يحمل عنوان ماهية الفن التشكيلي ومفاهيمه النفسية والتربوية، والتطور النوعي للتعبير الفني لدى الأطفال. أما الفصل الثاني فيتخصص

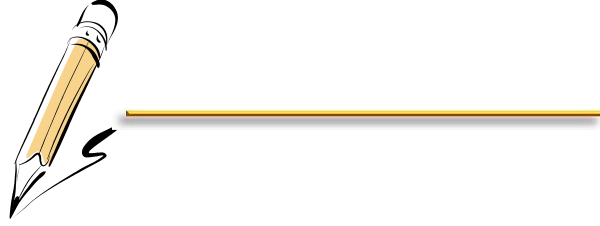
للمقاربة السيكولوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية، وانطلق فيه إلى عرض الدراسة الميدانية العيادية للحالات الثلاث، متضمنة التحليل السيكولوجي الدقيق لرسوماتهم لاستنتاج القوى العلاجية.

وقد اعتمدنا على جملة من الدراسات السابقة التي تناولت العلاج بالفن التشكيلي، غير أن بعض الدراسات السابقة التي تناولت رسوم الأطفال العاديين كشروط للنمو النفسي، بينما بالاستقراء لم نعثر على حالات مماثلة داخل مؤسسة متخصصة ومقارنة الفن التشكيلي العيادي بين ثلاث اضطرابات نفسية وسلوكية مختلفة في نفس الإطار الزمني والمكاني.

ولم يخل طريق إنجاز هذه الدراسة من صعوبات منهجية وميدانية، كان أبرزها ندرة المراجع العربية المتخصصة التي تتناول العلاج بالفن التشكيلي من منظور كلينيكي ونفسي دقيق، مما نزل مجهود مضاعف في البحث والترجمة. كما واجهنا صعوبات ميدانية تتعلق بكسر الحواجز وبناء علاقة تواصل مع الأطفال المعنيين داخل المركز، خاصة منهم ذوي اضطراب التوحد وفرط الحركة، مما تطلب المتابعة المستمرة وتذليل تلك الصعاب.

حرر يوم 18 جوان 2026

فقيير سعيد، ضامري فتحي.



الفصل الأول

ماهية الفن وأنواعه.

الفصل الأول:

المبحث الأول: ماهية الفن وأنواعه

إن المتأمل في مسيرة الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ السحيق وحتى يومنا هذا، يدرك بوضوح لا لبس فيه أن الفن لم يكن في يوم من الأيام ترفاً فكرياً طارئاً أو ممارسة هامشية يمكن للإنسان الاستغناء عنها متى شاء. بل على العكس من ذلك تماماً، يمثل الفن ضرورة وجودية وحاجة أنطولوجية ملحة تضرب بجذورها في أعماق التكوين النفسي والروحي والبيولوجي للكائن البشري. لقد رافق التعبير الفني الإنسان منذ أن طبع كفه المرتجفة على جدران الكهوف المظلمة، محاولاً فك طلاسم الكون من حوله، وإيجاد لغة تتجاوز حدود المنطق المادي لتلامس جوهر الروح ومكامن الانفعال. وفي هذا السياق المعرفي، تبرز أهمية دراسة الفن كظاهرة معقدة ومركبة، تتداخل فيها الأبعاد الجمالية، والنفسية، والاجتماعية، والفلسفية، لتشكل في مجملها منظومة متكاملة تعكس أرقى ما توصل إليه العقل البشري من قدرة على التخيل.

ولقد أدرك كبار المفكرين وعلماء الجمال هذه الأهمية القصوى، حيث لم يعد يُنظر إلى العمل الفني على أنه مجرد تزويق شكلي، بل هو انعكاس لحالة حضارية وسيكولوجية عميقة. وفي هذا الصدد يقرر نقاد الفن أن الفن حاجة فطرية، وهو ما نلمسه بوضوح حين نقراً أن "الفن ليس مجرد محاكاة سطحية للطبيعة، بل هو ضرورة حيوية لا غنى عنها للإنسان، تتدخل في صميم تكوينه النفسي وتطور وعيه البشري منذ العصور الحجرية"¹

¹ هيربرت ريد: "معنى الفن"، ترجمة سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 15.

تأتي هذه الدراسة في إطار البحث المعمق حول ماهية الفن، سعياً منا كباحثين لتفكيك هذا المفهوم الشائك الذي استعصى على التأطير النهائي عبر العصور. فالفن، بطبيعته الزئبقية المتجددة والمتأبية على التوقع، يرفض الرضوخ لتعريف قاطع مانع؛ إذ يتشكل ويتلون وفقاً للحقب الزمنية، والمرجعية الثقافية، والرؤية الفلسفية التي ينطلق منها الباحث. ولذلك يؤكد مؤرخو الفن أنه "لا يوجد في الواقع شيء يمكن أن نسميه الفن بحرف الفاء الكبير، بل هناك فنانون فقط، أناس كانوا قديماً يتناولون تراباً ملوناً ويرسمون به أشكالاً"¹

ومن هنا، كان لزاماً علينا أن نؤسس مقاربتنا على قاعدة أبستمولوجيا رصينة، تبدأ بالبحث في الجذور اللغوية للمصطلح، صعوداً نحو التحولات الدلالية التي طرأت عليه، وصولاً إلى استتطق كبار الفلاسفة. إن فهمنا العميق لطبيعة الفن هو البوابة الملكية التي ستسمح لنا لاحقاً بفهم آلياته العلاجية والتطهيرية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالبناء النفسي الهش للطفل الذي يحتاج إلى وسائط تعبيرية تتجاوز صرامة اللغة المنطوقة.

ولما كان الفن نهراً متدفقاً تتفرع منه روافد عديدة، فقد انقسمت الفنون وتنوعت لتخاطب حواس الإنسان المختلفة. وفي خضم هذا التنوع الهائل، يبرز "الرسم" و"الموسيقى" كقطبين رئيسيين يمثلان أقدم وأعمق وسائل التعبير البشري. فالرسم، بما يمتلكه من أدوات بصرية تعتمد على الخط واللون والمساحة، يشكل لغة عالمية تخترق حواجز اللغات المنطوقة، لتوثق تفاصيل الوجود الإنساني وتعكس انفعالاته الداخلية المكبوتة

¹ إرنست جومبريتش: "قصة الفن"، ترجمة عارف حنيفة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2017، ص 22.

على مسطحات ثنائية الأبعاد. وفي المقابل، تقف الموسيقى كفن زماني يعتمد على تنظيم الأصوات والإيقاعات في فضاء الزمن، لتخاطب الوجدان البشري مباشرة دون وسائط مادية أو حواجز عقلانية، محرّكة بذلك أعماق المشاعر والأحاسيس الدفينة.

"يتميز الفن التشكيلي بتنوعه وتعدد مجالاته، حيث يمكن أن يكون بمثابة فن تجريدي يعبر عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية، أو فن واقعي يصوّر الطبيعة والمجتمع، أو فن تجريدي يهدف إلى تحليل الأشكال والألوان والفضاء. كما يستخدم الفن التشكيلي في العديد من المجالات الحياتية، مثل العمارة والتصميم الداخلي والأزياء والديكور والأعمال الفنية العامة"¹

أولاً: تعريف الفن لغة واصطلاحاً

إنّ الولوج إلى أي حقل معرفي يستوجب، كخطوة منهجية وبحثية أولى، ضبط المصطلحات وتحرير المفاهيم من لبسها، لكي يستقيم البحث على أسس واضحة لا يشوبها الغموض أو التداخل المعرفي. وكلمة "الفن"، بما تحمله من حمولات دلالية مكثفة وتشابكات فلسفية عميقة عبر التاريخ، تتطلب منا وقفة متأنية لتفكيك شفراتها. سيبدأ هذا التفكيك باستقصاء دلالاتها المعجمية في اللغة العربية واللغات الحية الأخرى، لننتدج بعد ذلك نحو المعاني الاصطلاحية التي استقرت عليها في أدبيات الفلسفة وعلم الجمال والنقد الفني الحديث.

¹ صلاح الدين أبو عياش: معجم مصطلحات الفنون، دار أسامة، الأردن عمان، 2005 ط1، ج1، ص838

الأصل اللغوي لمصطلح الفن:

إذا تتبعنا الجذر اللغوي لكلمة "فن" في أمهات المعاجم العربية القديمة والحديثة، نجد أنها تدور في فلك معانٍ ترتبط في مجملها بالتنوع، والتزيين، والمهارة، والأسلوب المبتكر. فاللغة العربية، بثرائها وتعدد مشاربها، لم تحصر الفن في دائرة ضيقة، بل جعلته شاملاً لكل ما فيه تميز واختلاف عن السائد. وقد أورد العلامة ابن منظور في معجمه الموسوعي الرائد تفصيلاً دقيقاً لهذا الجذر، حيث يقول صراحة: "الفن: الواحد من الأشياء، والجمع أفنان وفنون... والفن: الضرب من الشيء، والجمع فنون، وأفنان... والتقنن: التنوع في الشيء، ورجل متقنن: ذو فنون"¹

ومن خلال هذا المنطلق اللغوي البحت، نرى بوضوح أن العقل العربي الأقدم قد ربط بصورة وثيقة بين مفهوم الفن ومبدأ التعدد والتنوع والاختلاف. فكل صنف أو نوع متميز بخصائصه عن غيره من الأشياء أو الأقوال أو الأفعال، كان يُطلق عليه اسم "فن". وهذا الفهم اللغوي يشير إلى أن الفن يتناقض مع الرتابة والنمطية، فهو يتطلب قدرة على إيجاد أشكال وأساليب متعددة ومختلفة. علاوة على ذلك، نجد في التراث اللغوي ما يعزز ارتباط الفن بالجماليات المادية والمعنوية، كما جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي مؤكداً هذا المعنى بقوله: "فنه تقنياً: جعله فناً، والتقنن: التنوع، والشيء العجيب، وحسن القيام بالعمل"²

تعريف الفن اصطلاحاً في الفكر الفلسفي:

¹ ابن منظور: "لسان العرب"، المجلد الثالث عشر، مادة (ف ن ن)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1994، ص 323.

² مجد الدين الفيروز آبادي: "القاموس المحيط"، مادة (فنن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005، ص 1204

إذا كانت اللغة بمعاجمها تقدم لنا المفاتيح الأولى لولوج عالم المفاهيم، فإن الفلسفة هي التي تتكفل ببناء الصروح النظرية وتضع التأطيرات الاصطلاحية العميقة التي تفسر الظواهر. ولقد شكل الفن، منذ فجر التفلسف البشري، معضلة استقطبت اهتمام كبار المفكرين الذين حاولوا جاهدين الإجابة على السؤال الأزلي والمستعصي: "ما هو الفن؟". وتتنوع الإجابات وتتباين بتنوع المدارس الفلسفية، وتغير المرجعيات الفكرية، وتبدل الأنساق الثقافية عبر العصور. وفيما يلي، سنقوم بتتبع هذا التطور الاصطلاحي عبر محطات تاريخية ومعرفية كبرى.

ثانياً: الفن في الفلسفة اليونانية (نظرية المحاكاة)

تعتبر نظرية "المحاكاة" (Mimesis) حجر الزاوية والأساس المتين الذي قام عليه التفكير الجمالي الإغريقي برمته. فقد رأى الفيلسوف المؤسس أفلاطون (Plato) أن الفن في جوهره ليس سوى "محاكاة للطبيعة"، ولكنه -ولأسباب تتعلق بنسقه الفلسفي- نظر إلى هذه المحاكاة نظرة دونية ومربية للغاية. ففي فلسفته المثالية القائمة على نظرية "عالم المثل"، اعتبر أفلاطون أن الأشياء المادية ليست سوى ظلال باهتة. ولذلك هاجم الفن بشراسة واعتبره تزييفاً، ويظهر ذلك جلياً حين يقرر بأن "الرسام أو الشاعر إنما يصنع أشباحاً لا حقيقة لها، وهو يبتعد عن الحقيقة المطلقة بثلاث درجات، لأنه يحاكي ظواهر الأشياء لا جواهرها"¹

بالمقابل، وكرد فعل تصحيحي داخل النسق اليوناني نفسه، جاء تلميذه أرسطو (Aristotle) ليعيد الاعتبار للفن من خلال رؤية أكثر إنصافاً وعمقاً وواقعية. لقد اتفق

¹ أفلاطون: "الجمهورية"، ترجمة شوقي داود تمارز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، الكتاب العاشر، ص 311.

أرسطو مبدئياً مع أستاذه في أن الفن هو نوع من المحاكاة، لكنه رفض بشدة اعتبارها مجرد استنساخ أعمى. بل ارتقى بالفعل الفني لجعله غريزة معرفية نبيلة، مصرحاً بأن "المحاكاة غريزة فطرية تولد مع الإنسان منذ طفولته، وبها يتميز عن سائر الحيوانات، ومن خلالها يكتسب معارفه وتجاربه الأولى، والناس يجدون لذة طبيعية في الأشياء المحاكاة"¹

وبذلك، أضفى أرسطو على الفن بعداً معرفياً وتطهيرياً بالغ الأهمية يُعرف بمفهوم التطهير (Catharsis). حيث يرى أرسطو أن تفاعل المتلقي مع العمل الفني (خاصة في التراجيديا المسرحية والموسيقى) يؤدي إلى إثارة انفعالي الخوف والشفقة، ثم تفرغهما، مما يؤدي في النهاية إلى تطهير النفس من الانفعالات الضارة والمكبوتة. وهذا المفهوم الأرسطي، كما سنرى لاحقاً في الفصول التطبيقية، هو اللبنة الفلسفية الأولى التي تستند إليها نظريات العلاج بالفن في العصر الحديث.

ثانياً: الفن في فلسفة عصر النهضة (الفن كعلم ومعرفة بصرية)

مع انقضاء ظلام العصور الوسطى وبزوغ فجر عصر النهضة الإيطالية (تحديداً في القرنين الخامس عشر والسادس عشر)، حدث تحول جذري ومزلزل في النظرة الاصطلاحية والمعرفية للفن. لقد تمرد الفنانون والمفكرون بقوة على التقاليد البيزنطية الجامدة التي كانت تركز حصراً على الرموز الدينية والموضوعات اللاهوتية المسطحة دون أي التفات حقيقي لقوانين الطبيعة أو تشريح الإنسان. وفي هذه المرحلة التاريخية

¹ أرسطو: "فن الشعر"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 18.

المضيئة، تحول تعريف الفن ليصبح مرادفاً للبحث العلمي الرصين والمعرفة البصرية الدقيقة.

لقد أصبح الفن في عرف فلاسفة وعباقره النهضة وسيلة معرفية لسبر أغوار الكون المادي، وفهم آليات تشريح الجسد البشري، وإدراك قوانين الضوء والظل والمنظور. وقد وصف مؤرخو الفن هذا الانقلاب المعرفي العظيم مؤكدين أن "فناي النهضة لم يعودوا مجرد حرفيين، بل أصبحوا علماء يبحثون في قوانين البصريات والتشريح، وكان اكتشافهم لقوانين المنظور الرياضي بمثابة ثورة حولت اللوحة إلى نافذة تطل على واقع حقيقي وعقلاني".¹ ومن هنا، استقر في اصطلاح مفكري عصر النهضة أن الفن هو إعادة صياغة جمالية وعقلانية للطبيعة وفق قوانين رياضية وهندسية وتشريحية صارمة.

ثالثاً: الفن في الفلسفة الحديثة والمعاصرة (الفن كتعبير وانفعال وجداني)

شهدت القرون اللاحقة، لا سيما مع ظهور الحركة الرومانسية المتمردة والفلسفات المثالية الألمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، انقلاباً شاملاً وعميقاً في تعريف الفن اصطلاحياً. فقد تراجعت بشدة نظريات المحاكاة القديمة ونظريات المنظور الرياضي النهضوية، لصالح نظريات جديدة تركز على التعبير، والانفعال الوجداني، والذاتية المطلقة للفنان.

¹ إرنست جومبريتش: م، ن، ص 182

يقول هنري دلاكروا «ليس الفن مجرد إحساس، أو صورة، أو نقل عن الواقع، أو مجرد تعبير عن الماهيات، بل هو هذا كله، مضافا إليه نشاط تركيبى ابداعى هو الأصل في كل ما ذكرنا...

ويقول أوجست رودان «إن الفن ليس إلا شعوراً أو عاطفة، ولكن بدون علم الأحجام والنسب والألوان، وبدون البراعة اليدوية، لا بد من أن تبقى العاطفة _ مهما كان من قوتها _ مغلوطة أو مشلولة».¹

يُمكن القول إن الفن، كما يرى هنري دلاكروا، يتجاوز مجرد الإحساس أو النقل عن الواقع ليصبح نشاطاً تركيبياً إبداعياً أصيلاً. وفي هذا السياق، يؤكد أوجست رودان على أن هذا الإحساس أو العاطفة الفنية، مهما بلغت قوتها، تظل حبيسة ما لم تُصقل بالعلم والمعرفة بالأحجام والنسب والألوان، بالإضافة إلى البراعة اليدوية التي تُمكن الفنان من تجسيد رؤاه. وهكذا، يتجلى الفن كدمج فريد بين عمق الشعور ومهارة التنفيذ، حيث لا يكتمل الإبداع إلا بتضافر الروح الملهمة والقدرة التقنية.

¹ زكريا إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، ص: 5.

المبحث الثاني: مظاهر الفن وأنواعه

بعد أن تناولنا بالتحليل والعمق ماهية الفن، مستكشفين أبعاده الجوهرية وتجلياته الفلسفية، ننتقل الآن إلى استقصاء الأشكال المتعددة التي يتجسد بها هذا المفهوم المجرد في عالمنا المحسوس. إن القدرة الفنية الكامنة في الروح البشرية لم تقتصر على مسار تعبيرى واحد، بل اتخذت أساليب متنوعة تخاطب الحواس والإدراك الإنساني بشتى طرقه. وقد أضحت تصنيف هذه الفنون المتنوعة موضوعاً خصباً للنقاش الأكاديمي، مما دفع بالفلاسفة والمفكرين إلى وضع أطر منهجية واضحة لتنظيم هذا التنوع وربطه بأسس تصنيفية منطقية من بينها:

أ_ الرسم:

فن الرسم هو فن التعبير عن الأفكار التي يحملها الإنسان، من خلال خلق صفات جمالية معينة، عن طريق لغة بصرية ثنائية الأبعاد، باستخدام مجموعة من الأدوات الخاصة بالرسم مثل القلم والفرشاة والألوان على سطح معين تنفذ عليه الرسمة مثل الورقة أو اللوحة القماش أو الطين والزجاج والجدار... الخ.¹

"مفهوم الرسم يعرف الرسم على أنه فنٌ مرئيٌ يحدث من خلال خلق علاقةٍ ما على سطح معين، وذلك بهدف التعبير عن الأشياء والأفكار باستخدام الخط أو الألوان، وقد يكون الرسم عبارةً عن مجموعةٍ من الخطوط السريعة التي تتمّ بهدف تدوين بعض

¹ العوادي ضرغام: المحاضرة الأولى: التخطيط والألوان. محاضرة جامعية. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المعهد التقني / النجف الأشرف، قسم: التصميم والتزيين المعماري.

الملاحظات والمشاهدات والخواطر لشكلٍ ما في لحظةٍ معينة، ويعتبر الرسم شكلاً من أشكال التعبير الفني.¹

حسب samovlin سمفولين: معرفة الرسم تعني قبل كل شيء الإدراك بدقة كافية وشمولية لبنية الشكل واللون، التفاصيل المميزة، الموقع في الفضاء، وهو أيضاً ملاحظة ما يجب ترجمته في الرسم وهو إيصال في شكل تخطيطي لما أدركناه.

- أما catherine marshal كاثرين مارشال فتعرفه:

الرسم هو بداية الكتابات وهو تخطيط الطفولة ومع التعلم يتحول إلى أشكال خطية ثم إلى كتابة فهو يسجل في الأساس شيء لا يوصف يحس بالأشكال والألوان، الرسم يذهب أكثر بعداً من اللغة يعبر عن الكلمات والأحاسيس.

- ويعرف الرسم حسب N. SILLAMY على أنه:

أي الرسم ينمو مع النمو النفسي للفرد فالطفل من السن الثانية إلى سن الخامسة لا يعرف إلا الخربشة فيما بعد يحاول أن يتبع نموذج معين عند سن الخامسة أو السادسة يصل إلى مرحلة الرسم وحتى سن السادسة كل الأطفال يرسمون بطريقة واحدة مهما كان أصلهم العرقي أو الاجتماعي أو الثقافي.

¹ عيصام إل (aissam el): 11 الرسم، [مستند إلكتروني]، موقع Scribd، اطلع عليه بتاريخ: 2026/05/02، متاح على الرابط: <https://www.scribd.com/document/937260747/11> الرسم، ص 01.

- ويعتبر الرسم رمز للذات ورمز للشيء حسب Widlocher ويدلوشر فقيمة الرسم كرمز وتعبير عن الذات حيث يقترب النشاط ومنتجوه من مفهوم النظام الرمزي للتواصل¹

أهمية الرسم في العلاج النفسي:

أما أهمية دراسة رسوم الأطفال بالنسبة لعالم التحليل النفسي فتؤكد "الهندي" على قيمتها التشخيصية، فتقول إن الرسوم التي يقوم بها الأطفال وبخاصة قبل معرفتهم للقراءة والكتابة وقبل تعلمهم الكلام، أو أي أسلوب آخر من أساليب التعبير تقدم للمحلل النفسي سجلاً لتاريخ حياة الطفل يمكنه من دراسة تشخيص المرض النفسي الذي ينتاب الطفل، وبذلك يمكنه معرفة أسبابه فيقترح العلاج المناسب له²

رسومات الأطفال لها أهمية كبيرة في علم التحليل النفسي، لأنها تُعتبر وسيلة يعبر بها الطفل عن نفسه بشكل تلقائي، خاصة في المراحل التي لا يستطيع فيها القراءة أو الكتابة أو حتى التعبير بالكلام. فمن خلال هذه الرسوم، يستطيع الأخصائي النفسي فهم مشاعر الطفل وأفكاره وتجربته الحياتية، وكأنها سجل غير مباشر لما يعيشه. وهذا يساعد في تشخيص أي اضطراب نفسي قد يعاني منه الطفل، ومعرفة أسبابه، وبالتالي اختيار العلاج المناسب له بطريقة أدق.

¹ أحمد مرسى: علم نفس الرسوم، 1987، ص 310)، نقلاً عن: مجدوب أسماء، "نشاط الرسم ودوره في تطوير الجوانب المعرفية والوجدانية لدى تلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، تخصص إرشاد وتوجيه تربوي، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل، السنة الجامعية 2018-2019، ص 13

² الهندي منال عبد الفتاح: مدخل الى سيكولوجية رسوم الأطفال، عمان: دار المسيرة، 2009، ص 20

دور الرسم في العلاج النفسي للأطفال:

فالرسم يساعد على تحقيق الاتزان النفسي لتمييزه بعاملين: العامل الأول يكمن في كونه يساعد على التخلص من بعض المكونات والحاجات المرفوضة مثله مثل كل الوسائل التنفيسية الأخرى، أما العامل الثاني فيرجع إلى اعتباره وسيلة متسامية تعمل على إبدال الدوافع والحاجات المرفوضة من هدفها الأصلي وخروجها في صورة رمزية متوازنة مقبولة من الذات والمجتمع في آن واحد¹

وعلى هذا يكون الرسم أداة مناسبة لإقامة الحوار وتحقيق التواصل مع كل الأشخاص على حد سواء، حتى أولئك الذين لا يجيدون الرسم. لذا يوصى بعض علماء النفس باستخدام الرسم مع الأطفال المتأخرين دراسياً والذين يعانون من سوء التوافق الاجتماعي والانفعالي ومن لديهم مشكلات سلوكية،²

يُعدّ الرسم من الوسائل المهمة في العلاج النفسي للأطفال، لأنه يفتح مجالاً للتواصل والتعبير بطريقة غير لفظية، خاصة لدى من يجدون صعوبة في التعبير بالكلام. فمن خلال الرسم يستطيع الطفل الكشف عن مشاعره وأفكاره بصورة عفوية، مما يساعد المختص على فهم حالته النفسية. كما يساهم هذا النشاط في تخفيف التوتر الداخلي، إذ يتيح للطفل تفريغ انفعالاته ورغباته المكبوتة بشكل آمن ومقبول، وتحويلها إلى رموز

¹ فالنتينا وديع سلامة الصايغ: فاعلية الأنشطة الفنية في تخفيض حدة السلوك العدواني لدى الأطفال الصم في مرحلة الطفولة المتأخرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلوان، كلية التربية الفنية، مصر، 2001، ص 80. نقلاً عن: سليمان حسين وتواتي إبراهيم عيسى، "تطور الرسم عند الطفل ودلالاته السيكلوجية"، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، جامعة وهران، ص 153.

² إياد محمد جاسم: "الرسم وفوائده العلاجية للأطفال"، مجلة المنال الإلكترونية، مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، منشور بتاريخ 1 أكتوبر 2015، على الرابط: <https://almanalmagazine.com/?p=4775> (تاريخ الاطلاع: 3 مايو 2026).

تعبيرية. لذلك يُعتمد الرسم كأداة فعالة لتحقيق التوازن النفسي وتحسين التوافق السلوكي والانفعالي لدى الأطفال.

ب_ الموسيقى:

لقد حظيت الموسيقى بمكانة فلسفية مقدسة. فمنذ فيثاغورس الذي اعتبرها انعكاساً لنظام الكون الرياضي (موسيقى الأفلاك)، وصولاً إلى العصر الحديث حيث قدم الفيلسوف آرثر شوبنهاور أعظم رؤية مجدت الموسيقى. ففي حين اعتبر الفنون التشكيلية مجرد محاكاة لظواهر العالم، رأى في الموسيقى تجسيداً لجوهر الوجود نفسه. ويصرح شوبنهاور بوضوح تام عن تفوق الموسيقى قائلاً: "إن الموسيقى تختلف تماماً عن جميع الفنون الأخرى، فهي ليست محاكاة للظواهر، بل هي تعبير مباشر وفوري عن الإرادة الكلية ذاتها، ولذلك فإن تأثيرها أقوى وأسرع من أي فن آخر"¹

الموسيقى هي لغة التعبير العالمية، والموسيقى هي اللغة التي نسمعها في كل شيء في الحياة في المنزل من التلفزيون والحاسوب وفي العمل، في رنات التليفون المحمول، في وسائل المواصلات.

لكل إنسان لون وطبقة صوتية خاصة به، فيوجد الصوت الخشن. ويوجد الصوت الرقيق الناعم، وهناك القوى والآخر الضعيف، كما يوجد الصوت الذي يعكس الحنان أو الذي يعكس القسوة.

¹ آرثر شوبنهاور: "العالم إرادة وتصور"، ترجمة سعيد توفيق، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص 211.

كما أن الأصوات تتعدد حسب مصدرها: فهناك صوت الإنسان، صوت الطبيعة، صوت الحيوانات والطيور، صوت الآلات والأصوات لا تنتهي ويحل محل الصوت الصمت بالألا نسمع صوتاً.

ولا جدال أن أكثر الأصوات إبداعاً هو صوت الانسان، لأنه باستطاعته أن يرتبه كيفما يشاء ويطوعه حسبما يريد.¹

السطوة النفسية والاثـر العيادي للموسيقى:

يعد الغناء من الأنشطة الموسيقية المحببة للطفل، ووسيلة تعليمية تهدف إلى إعلاء ثقافة الطفل عن طريق نقل المعلومات القيمة من خلال كلمات الأغنية مع بث الأسس التربوية في الطفل وغرس عادات سليمة مع تربية ذوقه الفني، وتستطيع الأغنية أن تجذب الطفل وتجعله ينتقل إلى عالم محبب إلى قلبه وإحساسه، بل إنها تلعب دوراً هاماً في تنميته في كافة الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والمعرفية والاجتماعية، لذلك فإن أغنية الطفل يجب أن تتضمن الأهداف التي تساعد على تنمية هذه الجوانب، كما يساعد الغناء الطفل في تعلّم التنفس الصحيح وطريقة إخراج الصوت وعن طريقها يمكن للمعلم إيصال الكثير من المعلومات للطفل²

¹ أوس حسين علي: الموسيقى من الألف إلى الياء، مكتبة عالم المعرفة للطباعة والنشر، بغداد، 2016، ص، 8

² رامي نجيب حداد: "أثر تعليم الموسيقى في المدرسة على الصحة النفسية للطلبة وتحفيزهم على التعلم"، دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 17، ديسمبر 2016، ص28

تساهم الموسيقى في تنمية ثقافة الطفل اذ أن الغناء والألعاب الموسيقية تقوي ثقته بنفسه فيعبر عن احساسه بلا خجل فهي تساعد على بناء الجانب الترفيهي في حياته.

أوضحت الدراسات ان شخصية الطفل تحتوي على عدد من المكونات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية تتفاعل مع بعضها البعض وتتبادل التأثيرات مبينة ان فن الموسيقى يتميز بقدرته المدهشة على تنمية المكونات المختلفة لشخصية الطفل فتؤدي الى تنمية التوافق الحركي والعضلي في النشاط الجسماني وإلى مجموعة من المهارات الحركية اضافة إلى تدريب الاذن على التمييز بين الاصوات المختلفة وتنمية هذه الجوانب من خلال أنشطة موسيقية متعددة كالتذوق الموسيقي والغناء والايقاع الحركي والعزف على الآلات، ومن الناحية العقلية تذكر الدراسات ان دور الموسيقى يتمثل في تنمية الادراك الحسي والقدرة على الملاحظة وعلى التنظيم المنطقي وتنمية الذاكرة السمعية والقدرة على الابتكار اضافة إلى مساهمة الموسيقى في تسهيل تعلم وتلقي المواد الدراسية الاخرى.¹

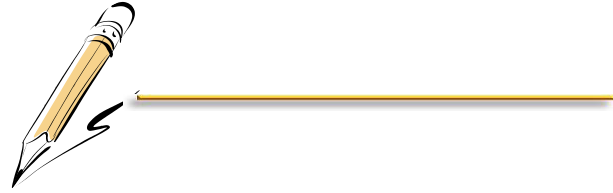
الغناء يُعد وسيلة تربوية وتعليمية فعّالة للأطفال، لأنه يجمع بين المتعة والتعلم في آنٍ واحد. فمن خلال الأغاني يمكن نقل معلومات مفيدة بطريقة جذابة وسهلة الفهم، كما تُسهم في غرس القيم والعادات الإيجابية وتنمية الذوق الفني لدى الطفل. إضافةً إلى ذلك، يساعد الغناء على تطوير جوانب متعددة من شخصية الطفل مثل النمو الجسمي

¹ علي نجم عبد الله مشاري: "أثر التربية الموسيقية في تنمية وتعزيز الذكاء الموسيقي عند الأطفال"، مجلة نابو للبحوث والدراسات، المجلد 37، العدد 47، جويلية 2024، ص 1087

والعقلي والعاطفي والاجتماعي، ويُحسّن مهاراته اللغوية وقدرته على التنفس الصحيح والتعبير الصوتي. لذلك تُعتبر أغنية الطفل أداة مهمة يعتمد عليها المربي لإيصال المعارف وتنمية قدرات الطفل بشكل متكامل

وأكد أفلاطون أن التعليم بالموسيقى عنصر أساسي في تربية النشأ فالموسيقى والتشكيلي محوراً تكوين الطفل في مراحله الأولى من حياته العملية حتى ينال كل طفل النمو الوجداني كاملاً بالتالي تنعكس إيجاباً على نموه العقلي والجسدي والسلوكي.¹

¹ علي نجم عبد الله مشاري: م، ن، ص 1083



الفصل الثاني

المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن
التشكيلي كآلية علاجية

تمهيد:

يمكن اعتبار الطفل كائناً في طور التشكل النفسي والمعرفي، وتعد الفترة الأولى من النمو من أكثر المراحل الجوهرية في التكوين النفسي. ففي هذه المرحلة المبكرة، قد يتعرض الطفل لبعض الضغوط الانفعالية والاجتماعية (كالتفكك الأسري، العنف، الحرمان العاطفي، الصدمات، أو صعوبات التكيف المدرسي)، غير أن عدم اكتمال المهارات اللغوية قد تعجزه أحياناً عن التعبير اللفظي الدقيق عما يحصل في داخله من صراعات نفسية.

من هنا تبرز دور الفنون التشكيلية كونها إحدى الوسائل البديلة غير اللفظية، تتيح للطفل التحرر من التوتر النفسي وإبعاد ما يخبئ من توتر أو قلق في أشكال ورموز وألوان. فالرسم والتلوين ليست مجرد أنشطة ترفيهية، بل أدوات علاجية ذات قيمة سيكلوجية عميقة، تستثمر في العلاج بالفن (art therapy) باعتباره منهج علاجي حديث النشأة يجمع بين البعد الفني والبعد النفسي العلاجي.

يستند العلاج بالفن التشكيلي على فرضية مفادها أن الإنتاج الفني يعكس العالم الداخلي للطفل، ويسمح للمعالج النفسي بفهم التفاعلات الوجدانية، ومواطن القلق والتوتر لديه، كما يساهم في تعزيز ثقته بنفسه، وتنمية قدرته على التواصل، وتحسين الصحة النفسية والاجتماعية. وفي هذا السياق تؤكد الأدبيات التربوية والنفسية نجاعة المداخل الفنية في تخفيف أعراض القلق، والاضطرابات السلوكية، وآثار الصدمات النفسية لدى الأطفال.

وعليه، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على دور الفنون التشكيلية في العلاج النفسي للأطفال، وإظهار قيمتها كآلية إرشادية وتنموية، مع إبراز أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية داخل المؤسسات التربوية والصحية، سعياً لتكريس الفن كدعامة جوهرية في خدمة الصحة النفسية للطفل.

المبحث الأول: سيكلوجية الفن وتجلياتها العلاجية

"ويبدو أن البداية الحقيقية للبحث العلمي في مجال رسوم الأطفال كانت مع مطلع القرن العشرين، وتمثلت في ثلاث مشروعات بحثية مرموقة تعهدها الجامعات الألمانية وهي دراسة "كارل لامبرخت" السابق الإشارة إليها، ودراسة "جورج كيرشنشتاينر" G. Kerschensteiner (1903) في ميونخ، ودراسة "وليم شترن" W. Stern (1905) في بريسلو. ذلك أن معظم الدراسات التي أجريت في هذا المضمار حتى أواخر القرن التاسع عشر قد غلب عليها الطابع الوصفي والأحكام الذاتية،"¹

إن الدراسات التي كانت تجرى في السابق في مرحلة ما قبل القرن العشرين كانت تقتصر إلى الدقة، بحيث كان الاعتماد على الوصف الظاهري فقط، وتعتمد على وجهة نظر الملاحظ، مما يعني أنها لم تكن تتبع منهجاً ثابتاً أو أسس علمية صارمة. إن نقطة التحول كانت مطلع القرن العشرين بحيث تعتبر هذه الفترة هي الانطلاقة الفعلية للبحث العلمي في هذا المجال. اتجهت الجامعات والألمانية منها على وجه الخصوص نحو إطلاق أبحاث ضخمة تركز جهودها لتحليل دلالات رسوم الأطفال وفهم أبعاده. إن

¹ عبد المطلب أمين القريطي: مدخل إلى سيكلوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005)، ص. 17.

قادة هذا التحول ومن أبرزهم "كيرشنشتاينر" و"وليم شترن" كأول من وضعوا أسس البحث التجريبي والموضوعي، حيث انتقلوا من وصف رسومات الطفل إلى تحليلها بمعايير أكاديمية صارمة وبرمجة زمنية منضبطة.

الفرق بين الرسم كنشاط والرسم كرسالة

أولا الرسم كنشاط:

يقصد بالرسم المدرسي تلك الرسوم التي ينتجها الطفل تحت إشراف معلم الفن وتوجيهه، أثناء تعرضه للبرامج والنشاطات المدرسية المحققة لأغراض العملية التي يطلق عليها التربية عن طريق الفن أو التربية الفنية...¹

الرسم كنشاط هو ذلك الممارسة التربوية المنظمة التي تتم داخل إطار المؤسسات التعليمية، وفق محددات وتوجيهات الأستاذ، وتتمحور حول غايات تعليمية تتدرج تحت مسمى التربية الفنية فالرسم هنا ليس نشاطا مفتوحا بلا ضوابط بل هو فعل تعليمي مقصود يخدم غايات تربوية مثل المهارات الإدراكية والحركية والارتقاء بالحس الجمالي، وتعزيز القدرة على التنظيم والتخطيط البصري.

يدرج ضمن الخطة الدراسية ويمارسه الطفل داخل حصص مخصصة، وتحت إشراف المعلم ووفق أهداف تعليمية واضحة من أجل تطوير المهارات والتقيد بالتوجيهات وبناء حصيلة معرفية تقنية.

¹ عبد المطلب أمين القريطي: م، ن، ص. 223

الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال

على حين صممت مناهج التربية عن طريق الفن ضمن برامج التعليم العام لجماعات العاديين من الأطفال والمراهقين لتحقيق الحد الأدنى المنشود من التكامل في استجاباتهم وشخصياتهم. وتنمية مقدراتهم الإبداعية وخبراتهم المعرفية والذوقية من خلال الفن وأنشطته المختلفة¹

إن منهج التربية الفنية في التعليم العام وضع بحيث يستفيد الأطفال والمراهقون من الفن كنشاط منظم يساعد على دمج المهارات الشخصية، أي تنمية قدراتهم الانفعالية والاجتماعية بشكل متوازن بحيث تتوافق استجاباتهم وأنماطهم السلوكية مع تبلور سماتهم الشخصية.

"وباعتبار الرسم من المكتسبات الأولية للكتابة، ومرحلة تطويرية أولية للنشاط الخطي فهو كذلك _ كما أشرنا سابقا _ أن بعض القدرات المطلوبة والمكتسبة من خلال نشاط الرسم تصبح أسس يعتمد عليها في اكتساب اللغة الكتابية. فإنه اعتمد عليه الرسم في دراسة صعوبات تعلم القراءة ومنه في العلاج²

يُعد الرسم التمهيد الحركي والعقلي للكتابة؛ فالمهارات التي يكتسبها الطفل أثناء الرسم كالتدريب على مسك القلم وضبط الخطوط هي ذاتها الركائز التي يعتمد عليها لاحقاً في تعلم اللغة. وبسبب هذا الترابط، أصبح الرسم أداة فعالة لتشخيص صعوبات القراءة في بدايتها، ووسيلة ممتعة لعلاجها من خلال تقوية تلك المهارات الأساسية.

¹ عبد المطلب أمين القريطي: مدخل الى سيكلوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005)، ص. 249.

² وهيبه جنون: "تأثير الرسم في تحسين الأداء القرائي من خلال تحسين القدرة الفونولوجية لدى الأطفال عسيري القراءة"، مجلة تنمية الموارد البشرية، جامعة سطيف 2، المجلد 5، العدد 2، 2013، ص 181.

ثانياً الرسم كوسيلة:

والأشكال الفنية المختلفة بما تكلفه من فرص التعبير الحر، تعد وسيلة هامة لتحقيق التوافق الداخلي للفرد، فهي تسمح للمشاعر والانفعالات التي لا يمكن التعبير عنها لفظياً بالانطلاق¹

الرسم ليس فقط نشاط شكلي أو ترفيهي، بل يلبي حاجة نفسية جوهرية تتمثل في مساعدة الفرد على الوصول الى التناغم الوظيفي بين عالمه السيكلوجي ومحيطه الخارجي. فحين يعجز الطفل عن التعبير بالكلمات عما يشعر به من خوف أو قلق أو غضب، يتخذ من الرسم متنفساً مثالياً لتفريغ مشاعره المكتومة فيتحول الفن حينئذ الى متنفس وجداني يحرر الانفعالات الكامنة في صورة رموز وأشكال وألوان، مما يقلل الضغط النفسي ويسهم في تحقيق الراحة النفسية والاستقرار الوجداني.

مراحل التطور الإبداعي وعلاقتها بالنضج النفسي (ربط العمر الزمني بالعمر الفني)

يتعلم الطفل من خلال تربيته الفنية الكثير مما يتعلق بأمور ونموه الكبير يقوم على مشاركة وتفاعل ونابع من ذات الطفل ولا يقوم على الإكراه أو الضغط الخارجي وذلك لما يتوافر للألم من لذة أثناء ممارسة التربية الفنية بالتالي في مراحل طفولته المبكرة ولهذا الهدف من الأجزاء الرئيسية التي ترميها للتربية وعلم النفس.²

¹ عبد المطلب أمين القريطي، م، ن، ص. 21

² عبلة حنفي عثمان: "فنون أطفالنا"، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة النهضة العلمية، 1989م. ص 39

التربية الفنية وسيلة مثالية لنمو الطفل لأنها تعتمد على الدافع الذاتي والمتعة بعيداً عن الإكراه؛ فالفن يتيح للطفل التفاعل مع عالمه بحرية وتلقائية، مما يجعله هدفاً رئيساً في العلوم التربوية والنفسية لبناء شخصية متوازنة ومبدعة منذ الصغر.

يظهر الإبداع الفني عند الطفل صورة مباشرة لمستوى نضجه النفسي والمعرفي والانفعالي، إذ تتشكل ملامح التعبير الفني وتتطور وفقاً للنضج العمري وما يقابله من نضج الموهبة. وقد أفادت الأبحاث في مجال علم نفس، خاصة عند فيكتور لونييلد وجان بياجية، أن رسوم الأطفال تخضع لسلسلة من التطورات المرحلية التي تجسد تبدلات في الوعي والعمليات الذهنية والتنظيم الوجداني. فكلما تقدم الطفل في العمر تدرج أسلوبه الفني من العفوية إلى الرمزية، وصولاً إلى الواقعية المحكمة. ومن هنا، يبرز الربط بين العمر الزمني والفني كعنصر محوري لفهم مستوى النضج النفسي، إذ يبين العمل الفني عن درجة التكامل بين الجوانب المعرفية والوجدانية لدى الطفل.

حسب تصنيف لونييلد، ترتبط مراحل النمو الفني بالعمر الزمني كما يلي:

1. مرحلة التخطيط (Scribbling Stage) من (2 - 4 أعوام):

تُعد هذه المرحلة بداية بزوغ العمر الفني، وترتبط بنضج حركي وحسي لدى الطفل، وتنقسم إلى ثلاث فترات فرعية تعكس تطوراً نفسياً متصاعداً:

أ- **الشخبة العشوائية disordred**: وهي مرحلة تتخلق فيها الخربشات المضربة

وعندما يكتشف العلاقة بين هذه الحركة وما ينتج عنها من آثار مرئية تمنحه شعورا بالمتعة الحسية الحركية¹

أي أنها تعتبر نقطة الارتكاز ل بدايات التشكيل الإبداعي والتطور السلوكي والمعرفي لدى الطفل، حيث تبدأ بنشاط حركي عفوي ويكمن جوهر التحسين في هذه المرحلة في "الارتباط الإدراكي" لدى الطفل فيبدأ بإدراك الرابط السببي بين حركته العضلية وبين تلك الآثار البصرية التي تتركها على الورقة. ينقل هذا الاكتشاف الطفل من أطار التمرين العضلي إلى تجربة حسية شاملة تدعى "المتعة الحسية الحركية" وهي حالة من الرضا الغامر تتولد من اليقين بالقدرة على التحكم في الأداة وترك أثر ملموس في بيئته، مما يقوي لديه الربط بين النظر والحركة.



شكل رقم (18): يوضح تطور التخطيط لدى الطفل من العشوائية الى التحكم

¹ عبد المطلب أمين القريطي: سيكلوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005)، ص. 137.

العنصر	البيانات الوصفية والتحليلية
عنوان الشكل	نماذج من تخطيطات الطفل في مرحلة الشخبة (تخطيطات تامر القريطي).
المصدر	عبد المطلب أمين القريطي (2009)، مدخل إلى سيكلوجية رسوم الأطفال، ص. 137.
المرحلة الفنية	مرحلة التخطيط (Scribbling Stage)
العمر الزمني	يتراوح بين (عام و4 أشهر) إلى (عامين و7 أشهر).
التصنيف الفني	(أ) تخطيط أفقي مائل: يعكس شخبة عشوائية غير منتظمة (عمر 1.4 سنة). (ب) تخطيط مختلط: يظهر بداية التحكم الحركي (عمر عامين). (ج) تخطيط دائري: يمثل التخطيط المتحكم فيه (عمر 2.7 سنة). التصنيف الفني
الدالة النفسية	تعكس هذه الأشكال تطور "التأزر الحسي الحركي" لدى الطفل؛ حيث ينتقل من مجرد الاستمتاع بحركة العضلات (الشكل أ) إلى القدرة على توجيه الخطوط وتكرارها (الشكل ج)، وهو ما يمثل بداية النضج الإدراكي للعلاقة بين حركة اليد والأثر البصري على الورق.

ب- التخطيط المتحكم فيه Contoled: حيث تتطور الشخبة العشوائية إلى تخطيطات أكثر تنظيماً وانضباطاً، تتشكل من خلال الحركات المعادة أو المكررة التي

ينتج عنها تخطيطات طويلة ودائرية ومائلة، بفعل التحسن في التآزر بين قوى الطفل الحركية والصرية.¹

وتعد هذه المرحلة مرحلة الانتقال من الاستجابة الحركية الآلية إلى مرحلة الضبط المعرفي للوسيلة، حيث تتحول الخربشات من طاقة عشوائية مندفعة الى أنماط أكثر تنظيماً وانضباطاً. يعتبر اعتماد الطفل على الحركات المتكررة تمريناً وظيفياً لضبط العضلات الدقيقة، مشكلاً بذلك هياكل بصرية خطية مقل الخطوط الطولية والدائرية والمائلة كما هو موضح في الشكل السابق "شكل رقم 18". هذا التحول ليس مجرد مصادفة، بل هو نتيجة التطور الذي طرأ على التوافق البصري الحركي، حيث يبدأ الطفل في استخدام عينيه لتوجيه حركة يده ومراقبة النتائج وتعديلها آنياً، ويعد ذلك دلالة على اكتمال نمو المهارات العصبية، مما يعزز السيطرة الحركية على الأدوات والبيئة المحيطة.

2. مرحلة ما قبل الإيجاز الشكلي Preschematic من (4 - 7 أعوام) :

وتبدأ فيها المحاولات الأولى للتمثيل الواقعي، وأهم ما يميزها هو البحث والاكتشاف. البحث عن المفاهيم والرموز خلال الرسم، واكتشاف الطفل العلاقة بين الرسم والتفكير والواقع المرئي، ومن ثم فإن تمثيلاته للرموز تتغير باستمرار البحث عنها، كما تتميز بالمرونة والتنوع حتى بالنسبة لكل رمز على حدة.²

¹ عبد المطلب أمين القريطي، سيكلوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005)، ص. 138.

² عبد المطلب أمين القريطي: م، ن، ص. 138.

تعكس هذه الفترة الارتقاء المحوري من العفوية الحركية الخام الى رحاب التفكير التجريد والتمثيل الذهني. كما تتسم هذه المرحلة بكونها عملية بحث واستكشاف معرفي مستمر، حيث يشرع الطفل في استيعاب الدلالات الرمزية لرسومه وانعكاسها على محيطه الخارجي، مما يشير الى أن نظام الرموز لديه لا يزال يفتقر الى الاستقرار والاتساق، وتمتاز بالتطوع والتبدل انعكاسا لسعيه نحو صياغة بصرية تلائم مفاهيمه المتطورة. ويظهر الشكل الإنساني كعنصر رئيسي في رسومات الأطفال حيث يعطي الطفل وزنا إدراكيا أكبر للعناصر التي تحمل قيمة شعورية أو أهمية وظيفية لديه، وبذلك يصبح الرسم تعبيرا عن تجربته الداخلية، وليس مجرد استنساخ آلي لما تراه العين.

3. مرحلة الايجاز الشكلي Schematic من (7 - 9 أعوام):

ويستقر خلالها الطفل - بعد محاولاته السابقة التي اتسمت فيها الرسوم بالتغير والتنوع - على صيغة موجزية جمعية Collective يعبر بها عن عدة أشياء متشابهة وينزع الى تكريرها كلما طلب إليه التعبير عنها، بحيث لا يغير فيها تغييرا جوهريا إلا عندما يريد التعبير عن معنى خاص... ومظاهر التمثيل الذاتي للفراغ كخط الأرض وخط الأفق¹

يتحول رسم الطفل من مجرد تجارب عشوائية الى القدرة على رسم رموز ثابتة ومفهومة، حيث يصيغ لنفسه قاموسا بصريا مختصرا يعرف بالمخطط الشكلي. هذا المخطط ليس مجرد خطوط عابرة، بل هو رؤية متكاملة تختصر رؤيته للعالم، فالمنزل والشجرة

¹ عبد المطلب أمين القريطي: م، ن، ص. 138-142

والإنسان تصبح رموزا مخزنة يكررها الطفل بثقة كلما أراد التعبير ، ولا ينكسر سياق التكرار هذا إلا بظهور مشاعر جديدة تستدعي إدخال تحسينات تخدم الفكرة، وتبرز هنا سيميائية خاصة في فن الطفل، حيث يتجاوز الظواهر الحسية نحو الحقائق الذهنية، متبنيا أسلوب الاختزال لفك ارتباط الصورة بتجسيمها الواقعي والتوسع في الوصف لتركيز الانتباه على الأولويات ليكشف عما وراء الجدران، وصولا إلى تنظيم الفراغ عبر خط الأرض الذي يمثل بدايات التنظيم الهندسي لدى الطفل، بحيث يهدف من خلاله إلى إيجاد علاقات منطقية تمنح بيئته المصورة نوعا من التوازن والثبات الهيكلي.

4. سن العصبية (بزوغ الواقعية) Dawinng Realism (9-13 عاما):

يبيدي الطفل خلال هذه المرحلة وعيا ذاتيا كبيرا برسومه، ويتجه تدريجيا - مع تزايد إدراكه للبيئة الطبيعية ومحتوياتها - إلى التعبير عن الحقائق البصرية في رسومه، كما يتزايد شعوره بفرديته ووعيه بخصائصه الجنسية، ويبيدي في رسومه عناية واضحة بإظهار تفاصيل الأشياء، والعمق والمنظور، ومراعاة النسب بين الاشكال المرسومة. كما يبيدي وعيا أكبر باختلافات اللون وتدرجاته، ومن ثم تصبح رسوماته أكثر واقعية.¹

تعتبر هذه المرحلة أو كما يعرف بمرحلة المحاكاة وهي غالبا ما تمتد من سن 11 الى 13 عاما، إذ نشهد تطورا كبيرا في إحساس الطفل بالجمال وقدرته على الإدراك. في هذه المرحلة، يخلع الفن ثوب العفوية والرمز ليرتدي ملامح النزعة الموضوعية، حيث تتجذر الواقعية البصرية كقاعدة انطلاق أساسية للعمل الفني. يتضح هذا عبر تصاعد

¹ عبد المطلب أمين القريطي، م، ن، ص. 142.

الوعي الذاتي النقدي، إذ لم يعد الطفل يكتفي بمجرد الرسم، بل انتقل الى مرحلة الالتزام الصارم بمعايير الإدراك البصري في أعماله، وهذا يوضح لماذا صار المنظور والعمق الفراغي محط أنظار الجميع، مع السعي لتحقيق التوازن التشريحي والاتساق الفراغي بين مفردات اللوحة. يتغير وعي الطفل بالألوان، فبعما كان يستخدمها للتعبير عن مشاعره، أصبح يستخدمها لوصف الأشياء كما هي في الواقع، إذ يبدأ بتوظيف التدرجات والظلال وانعكاسات الضوء ببراعة، الامر الذي يضيف على نتاجه الفني بعدا واقعيا ملموسا.

سيكوسوسيولوجيا، يرافق هذا التطور الفني نضج في الهوية الذاتية، مقترنا بتزايد الوعي بالفوارق النوعية والخصائص الجنسية، مما يوجه عملية اختيار العناوين ويرسم ملامح التفاصيل الدقيقة. ومع ذلك، تحدث في هذه الفترة فجوة في التواصل النفسي "عجز إفصاحي"، بسبب سقف طموحاته المرتفع ونزعته التحليلية الصارمة، حيث يدرك الطفل الفجوة بين إمكانياته الذاتية والمعايير الواقعية التي يسعى لمحاكاتها، وهذا الإدراك للفشل في تحقيق المحاكاة التامة يثير حالة من التوجس الاجتماعي، وهذا يدفعه لتجنب عرض أعماله على الكبار خشية النقد أو لعدم ثقته بنتاجه الذي لم يعد يرقى لمستوى الدقة والواقعية لديه.

شروط النمو الإبداعي والعلاجي للطفل

- _تنمية السلوك الابتكاري.
- _تنمية التذوق الفني والجمالي.
- _تنمية النشأة العلمية والثقافية.

- _تأكيد ذات الطفل وتكامل شخصيته.
- _التنفيس عن الانفعالات والضغط النفسية.
- _مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.
- _تدريب الحواس وصقل مهارات الإدراك.
- _استخدام الفن كلغة اتصال وتعبير.
- _إتاحة الفرصة للعب بالخامات المختلفة.
- _استثمار أوقات الفراغ بوظائف إيجابية.
- _تطوير الجوانب العلاجية للنشاط الفني.
- _الكشف المبكر عن المواهب والقدرات الخاصة.¹

كما يقول الأستاذ الدكتور عبد المطلب القريطي في كتابه مدخل الى سيكلوجية الأطفال "قد يكون الذكاء شرطاً ضرورياً للإبداع، إلا أنه غير كاف وحده ذلك أن الذكاء مع أهميته ليس هو المظهر الأوحد للنشاط العقلي، فإنه لا يمثل سوى مظهر واحد من مظاهر النشاط العقلي التي لها دلالاتها في التعبير الإبداعي الفني لدى الأطفال²

الطفل يحتاج الى الذكاء من أجل سهولة الاستيعاب ليفهم الألوان مثلاً، وليستطيع التعبير عن أفكاره، والذكاء وحده غير كاف قد يكون الطفل فائق الذكاء لكن ينقصه العنصر الإبداعي.

¹ عبلة حنفي عثمان: م، ن، ص41.

² عبد المطلب أمين القريطي: م، ن، ص145.

ج - الرموز المسماة Named: وتتطور فيها تخطيطات الطفل الى تخطيطات عمدية مقصودة، يربطها الطفل بأشياء معروفة له، ويطلق على تخطيطاته تسميات معينة. جدير بالذكر أن هذه الرموز الخيالية المسماة لا علاقة لها بالواقع إلا من خلال التفكير الخيالي للطفل، ومن ثم فإنه لا يمكن للكبار التعرف عليها سوى عن طريق تسمية الطفل لها.¹

تمثل هذه المرحلة قفزة نوعية في سيكلوجية التعبير الفني والتطور الذهني لدى الطفل، حيث تنتقل الممارسة من مجرد نشاط حركي عشوائي إلى الضبط الفني عبر حركات منتجا بذلك اشكال هندسية طويلة ودائرية ومائلة، ويرجع الفضل في ذلك إلى تطور الانسجام بين النشاط الحركي والإدراك البصري وقدرة الجهاز العصبي على المسارات الحركية. ويصل هذا المسار إلى محطته الختامية بمرحلة الرموز المسماة التي تمثل إرهابات لظهور التفكير الرمزي والوعي القصدي، إذ يبدأ الطفل بربط تخطيطاته العمدية بأشياء من عالمه الخاص وإطلاق تسميات محددة عليها، يمكن القول عنها بأنها تجليات لخيال الطفل الجامح، لا تتقيد بأغلال المحاكاة أو بصرامة التشابه الموضوعي، وهو ما يجعل فهم دلالتها مستحيلا على الكبار، ما لم يوضح الطفل بنفسه المعنى الكامن وراء رسمه.

شروط النمو الإبداعي (عند جوديث آرون روبن)

¹ عبد المطلب أمين القريطي: سيكلوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005)، ص.138.

تؤكد جوديث آرون روبن في مؤلفها المرجعي (العلاج بالفن للأطفال) أن تفعيل الإمكانيات الإبداعية الداخلية للطفل يتوقف بشكل جوهري على ما تسميه "بالإطار الميسر"، هو المناخ المتكامل الذي يتيح للطفل تحقيق ذاته العفوية، بعيدا عن بعيدا عن ضغوط التقييم او التوقعات الخارجية.

إن الهدف من هذه الشروط لا ينحصر في الجانب التنظيمي فحسب، بل تسعى الى خلق ما يسمى ب "البيئة الحاضنة"، حيث يجد الطفل الملاذ الآمن لاستحضار صراعاته وتجسيدها في قوالب فنية (الالوان، صلصال، خطوط...). انطلاقا من هذا، سنستعرض المتطلبات الرئيسية التي وضعتها روبن لدعم التطور الإبداعي والعلاجي المتوازن لدى الأطفال:

1. المواد Materials:

"تكون عادة من أنواع شتى: منها تلك التي يتم الرسم بها (2.4B)، وتلك التي يتم التلوين بها (2.4C)، وهناك كذلك المواد التي ننحت قوالب من خلالها أو نصنعها، وأيضا التي نقوم بالتكوين والتشكيل عن طريقها (2.4D)، ويحتاج الأطفال الى ان تكون بعض هذه المواد على الأقل متاحة بالنسبة إليهم، كما أنهم يحتاجون الى سطح وأدوات يستطيعون أن يستخدموا هذه المواد عليها، أو عن طريقها بشكل ناجح (2.4F)¹

تقوم عملية استخدام المواد الفنية لتنمية الطفل على ثلاثة أسس، تضمن تحويل الأدوات البسيطة إلى وسائل تعبيرية مؤثرة تتجاوز طبيعتها المادية.

¹ روبن، جوديث آرون: (2021). العلاج بالفن للأطفال. ترجمة: شاكِر عبد الحميد. الرياض: دار أدب. ص.78

أولاً: الجانب التصنيفي والتربوي للوسائط، حيث تصنف الوسائط الفنية تبعاً لأبعادها الإدراكية والحركية إلى فئات الرسم، ووسائط التلوين، وعناصر التشكيل المجسم، ومن الضروري أن تكون هذه الأدوات متاحة وبجودة عالية، لأن تكريس الجودة يربي الطفل على الدقة وتثمين أدوات صنعته، الأمر الذي يحد من استنزافها المتسارع ويحولها إلى مورد مستدام.

ثانياً: الاستراتيجية البيئية والدافعية الإبداعية، تؤكد هذه الرؤية على أن التنظيم المنهجي للوسائط التعليمية بما يوفره من بدائل متنوعة يعد ركيزة أساسية لتمكين الطفل من اتخاذ قرارات مدروسة، وهذا التنوع الكبير في الأشكال والمحتوى هو ما يدفع الطفل لمعرفة ذوقه الفني، ويساعده في بناء طريقته الخاصة في التعبير عن نفسه.

ثالثاً: مبدأ الجاهزية والتوافق النمائي، من الضروري إبقاء المواد معدة وجاهزة دوماً، لتجنب أي تراخ أو تأخير غير مرغوب فيهمع مراعاة الخصائص النمائية للطفل، وضمان المواءمة بين جودة الأدوات وقدراته الوظيفية، وقدرته على التأزر الحركي البصري، ورصيده المعرفي، لضمان بقاء المادة الفنية أداة مرنة تستجيب لمتطلباته، دون أن تتحول إلى عقبة تحد من طاقته الإبداعية.

2. الحيز المكاني Space:

لا يشتمل هذا الحيز على البعد المكاني فحسب، بل أيضاً على أماكن وأسطح خاصة بالمواد والعمل والتخزين والتنظيف لها. فإذا كانت الوسائط التعبيرية والتجهيزات الأساسية قد يتم حفظها في أماكن متسقة يمكن توقعها، فإن الأطفال سوف يعرفون كيفية الذهاب للحصول على هذه الوسائط والتجهيزات... بحيث تتاح له تلك الطرائق التي يمكنه من خلالها أن يكون قريباً أو بعيداً، بمفرده أو مع الآخرين (2.4H).¹

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 79

حين نتكلم عن الحيز المكاني في عالم الطفولة، تتخطى رؤيتنا تلك الحدود الفيزيائية الضيقة، ونقصد محيطا حركيا ومساندا تربويا غير مباشر، لا يقتصر المكان على كونه إطارا للمحتويات، بل هو بنية تفاعلية تدعم تمكين الطفل وحرية ممارساته. اعتمدت التنظيم السلس كقاعدة أساسية لخلق مساحة تتسم بالحرية والمرونة، فبمجرد أن يجد الطفل مقتنياته في أماكنها المخصصة، يتحول من متلق للأوامر الى صانع قرار يفتتي أدواته ويبدأ مشروعه الفني دون الحاجة لوصاية الكبار، ليتحول دور الانسان من مراقب مستمر الى داعم استراتيجي عند الضرورة.

توفير بيئة نفسية داعمة هو الشرط الأول للإنتاج الإبداعي، لا يقتصر الامر على تأمين الضوء والاتساع، بل الجوهر يكمن في منح الطفل السيادة الكاملة لممارسة عفويته المبعثرة. إن السماح بسكب السوائل والعبث بالأشياء، واختبار النهايات المفتوحة للمواد دون خوف من نقد او رفض، هو الركيزة الأساسية لتعزيز الثقة وتفجير الطاقات الكامنة. في نهاية المطاف، الحيز المثالي هو ذاك الذي يتصف بالليونة الهيكلية، حيث يمنح الطفل مرونة في التنقل بين عزلته المنتجة والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، متجاوزا حدود المكان ليصبح معقلا للفكر، حيث تبنى الهويات وتبتكر الحلول.

3. الزمن Time:

يعني مفهوم الزمن بالنسبة للفن أن يكون هذا الزمن أو الوقت متاحا بدرجة كافية، وطويلا أيضا بدرجة تكون كافية من اجل الطفل، كي يواصل اهتمامه واندماجه في عملية إبداعية اصيلة. فإذا كانت المواد الأساسية نفسها كافية معظم الوقت أو الوقت كله، فإنها ستصبح مألوفة بالنسبة للأطفال... كي يتوافقوا مع الأوقات التي يكون من الواجب عليهم، خلالها، ان يتوقفوا او ان يغادروا المكان.¹

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 80

إن البعد الزمني يشكل جزءاً لا يتجزأ من فلسفة الفن التربوية، فهو أكبر من أن يكون مجرد وقت تؤدي فيه الأنشطة، ليكون محركاً ينمي الحس الجمالي لدى الطفل ويفتح آفاق خياله، حيث يحتاج الطفل الى مساحات زمنية واسعة تمنحه فرصة التعمق والتركيز التام في نشاطه الابتكاري، بعيداً عن ضغوط العجلة. إن تكرار التعامل مع الأدوات الفنية يجعلها قريبة ومفهومة بعد ان كانت غامضة وغير معتادة، مما يرسخ قدرة الطفل على تطويع أدواته، محققاً بذلك بصمة إبداعية حقيقية تجمع بين الدقة والغزارة. استناداً الى الفهم السيكلوجي للتحديات التي تطرأ خلال الفترات الانتقالية للطفل، تظهر مدى احتياج نهاية الجلسات الإبداعية لتدخل تربوي واعي ومنظم، من خلال تحديد إطار زمني مسبق وتهيئته لإنهاء المهمة، يمكن الطفل من تكييف نشاطه مع ضوابط البيئة والزمن، مما يعزز قدرته على التكيف عند التوقف، للحفاظ على نسق ابداعي مستمر ومحمي من التوقف القسري.

4. النظام Order:

يعني النظام وجود وضوح واتساق في ترتيب المواد، وفي أماكن النشاط والزمن. إن ذلك من شأنه أن يكون ذا عون وفائدة بالنسبة للأطفال جميعهم. وبالنسبة للأطفال الذين لديهم نظام داخلي، قليل أو منخفض، فإن مثل هذا النظام الخارجي أمر جوهري تماماً بالنسبة لهم... إن الأمان السيكلوجي امر يماثل في أهميته الحماية المادية والجسدية، لأن مشاعر الأطفال تحتاج النوع نفسه من الاحترام والاهتمام.¹

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 80

لا ينحصر طرح مفهوم النظام في كونه تنسيقيا شكليا للمحتوى، بل كمخطط استراتيجي يدمج الأهداف بالآليات، محققا التوازن في مختلف بيئات العمل. يشكل هذا النظام القاعدة الجوهرية التي تستند اليها الوظائف الذهنية لدى الطفل، فهو يشكل مرجعا بصريا وحركيا يمنح الجميع إحساسا بالاستقرار، إلا انه يصبح ركيزة لا غنى عنها واداة بديلة لمن يعانون من بعثرة التنظيم الذاتي، حيث يسد التنظيم الخارجي ثغرة التسبب في نفوسهم. إن انغماس الطفل في الفن هو استثمار في روحه، فهي تجربة تخرجه من محيطه لتضعه في حالة من التركيز المطلق، مما يبني داخله صرحا من الطمأنينة والنظام، سواء كان ذلك في عزلة اختيارية او ضمن نسيج جماعي. يرتبط نجاح هذه الحالة ارتباطا وثيقا بما أسميه الحماية المزدوجة وهي حماية الجسد والمنتج والمجال الحيوي للطفل من التدخلات العشوائية او التعطيل الخارجي.

الأمان السيكلوجي والمادي وجهان لعملة واحدة، تتطلب احتياجات الطفل العاطفية انتباها دقيقا، فهي الركيزة الموازية لسلامة بدنه ونموه، إن تقدير هذه الاحاسيس يحول المحيط العملي من حيز جامد الى بيئة حاضنة تعزز الابتكار والتطور المتوازن.

5.الأمان Safety:

يقصد به تقبل الأنواع المتعددة من الأنشطة التعبيرية، سواء كانت تلك الأنشطة غريبة او واقعية، نكوصية او تقدمية، او من تلك التي تحتوي على مادة سلبية او إيجابية. ان وضع بعض الحدود سوف يساعدنا كذلك في حماية الأطفال من اندفاعاتهم

الخاصة،... من خلال إعاقة تلك الصور النامية الخاصة بهم أو ابطالها، وذلك بأن نخبرهم أو نقول لهم ما ينبغي عليهم القيام به وكيف ينبغي ان يقوموا به أيضا.¹

يتمحور هذا المبدأ حول صياغة منظومة امنية رصينة تستند الى التمييز الدقيق بين المواقف النظرية والتجاوزات السلوكية، اذ يعتبر النتاج الإبداعي للطفل متنفسا حرا لاحتواء مختلف الاضطرابات الانفعالية، بما فيها تلك التي تبدو سلبية أو إيجابية، طالما لم تتجاوز كونها مجرد اشكال ورموز كالمجسمات أو الأفكار. تكم الصرامة العلمية هنا في رؤية الحدود كحافز للإبداع لا كقيد له فهي توفر الحماية الفيزيائية للطفل ولمحيطه من الاندفاعات غير المنضبطة، بينما تمنحه في الوقت ذاته حصانة نفسية ضد المعايير الخارجية التي تستنزف خصوصيته، ان مفهوم الأمان هنا لا يقتصر على الحماية الجسدية، بل يمتد ليضمن سلامة التطور الطبيعي للطفل من مخاطر التوجيه المفروض (التلقين القسري)، ليكون هو المسؤول الوحيد عن رسم ملامح عالمه الداخلي، دون تدخلات خارجية تخنق ابداعه أو تجبره على اتباع نماذج تقليدية في فنه.

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 80.81



(4-2) بنت مستغرقة في عملها (صورة فوتوغرافية بعدسة جاكوب ماليزي)

بطاقة فنية للصورة

العنصر الفني	الوصف
عنوان الصورة	بنت مستغرقة في عملها
الفنان او المصور	جاكوب مالميزي
الوسيط	صورة فوتوغرافية
المصدر	كتاب "العلاج بالفن للأطفال" لروبن جوديث آرون
الصفحة	81
الوصف	تُبرز الصورة حالة التركيز والانغماس الكلي للطفلة في نشاطها، لتكون تجسيداً حياً لبيئة "الأمان النفسي" التي تمنحها التحرر من الرقابة وتسمح لنموها الإبداعي الفطري بالانبثاق

6. الاحترام Respect:

يظهر احترام الأطفال من خلال إتاحة الحرية لهم بأن يختاروا أن يشاركوا في نشاط ما أو أنهم لا يشاركون فيه، أو «بالتذوق» السطحي أو العابر لشيء ما، أو الاستكشاف العميق له، وأن يختاروا الوسيط والموضوع الخاصين بهم، وأن يعملوا بمفردهم أو مع الآخرين، وأن يستكشفوا ويقوموا بالتجريب بإيقاعهم أو سرعتهم الخاصة في العمل، بطرائقهم الخاصة أيضاً.¹

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 82

إنَّ الاحترام البيداغوجي يعتبر ركيزة أساسية لتحفيز التحرر الإبداعي للطفل، باعتبار أن هذا المفهوم لا يقتصر على الجانب الأخلاقي فحسب، بل يمتد ليكون خطة عمل تضمن للطفل حقه في الاختيار الفني الحر. يتمثل هذا الاحترام في إعطاء الطفل استقلالية تامة في خوض تجربته، بدءاً من حرية اختيار مستوى الانخراط في النشاط سواء كان اطلاقاً سطحياً أو تحليلاً دقيقاً وصولاً إلى تحديد الأدوات والسمات التعبيرية التي تمثله، مما يجعل الفرد سيد قراره بعيداً عن تدخلات الآخرين. يطرح النص رؤية جديدة للمربي كمحفز يولي أهمية قصوى لآلية التعلم والنتيجة التي يصل إليها الطفل، من خلال الحوار التحفيزي الذي ينمي ذكاء الطفل، واعتباره شريكاً ناشطاً في عملية التقييم ووضع معايير الجودة لعمله. ولا يقتصر هذا الاحترام على حدود الفكرة، بل يشمل أيضاً تقدير المخرج المادي وحمانيته، لكونه إرثاً إنسانياً وتحفة فنية تستحق الاقتناء والعرض، مما يوفر مناخاً تعليمياً مطمئناً يجمع بين الدعم النفسي والتقدير المهني لإمكانات الطفل.

7. الاهتمام Interest:

ينبغي أن يكون الاهتمام بالصغار واستكشافاتهم وتعبيراتهم الشخصية اهتماماً صادقاً؛ لأن الأطفال يكونون بالفعل حساسين بالنسبة للزيف والادعاء. إن مثل هذا الاهتمام ينبغي أن يتم التعبير عنه من خلال عملية الملاحظة الحساسة غير المقتحمة أو المتطفلة، كذلك من خلال الاستماع الفعلي الصادق إليهم والتداخل اللفظي اللطيف معهم.¹

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 82

الاهتمام الوجداني عنصر جوهري لا غنى عنه في التربية، فالمربي لا يكتفي بالتواجد الجسدي فقط، بل يمنح حضوراً ذهنياً وعاطفياً صادقاً يلامس جوهر العملية التربوية، نظراً للقدرة الغريزية لدى الأطفال على التمييز بين العفوية والتصنع، يعتبر التفاعل الصادق أساساً بنيوياً لثمتين العلاقات المهنية. ويظهر هذا الاهتمام في الدراسات من خلال مراقبة السلوك بعمق دون التأثير عليه، مما يمنح الطفل مساحة الاستقلالية دون إهمال، مع تعزيزها بفن الانصات النشط والتدخل اللفظي المتناغم الذي يدعم ولا يفرض. هذا التحول يجعل البالغ دليلاً مرناً بدلاً من كونه سلطة ضابطة، مما يعزز الحضور التفاعلي، باعتباره منصة فنية ونفسية متكاملة تدعم التطور التلقائي لمواهب الطفل، ليس بالتدخل في جوهر عمله، بل بالاعتراف بقيمته وتذوق نتاجه، الأمر الذي ينمي لديه الإحساس بالكفاءة والاعتزاز بالنفس.

8. الدعم Support¹:

يتم التعبير عن دعم مساعي الأطفال ومطامحهم الإبداعية الداخلية من خلال تزويدهم، على نحو متسق، بالظروف المناسبة التي أشرنا إليها سابقاً. ويختلف هذا الدعم عن ذلك الاتجاه الخاص بالتساهل السلبي، الذي قد يمثل (أو على الأقل يوصل إحساساً ما) نوعاً من النقص في الاهتمام أو الانشغال، من جانب الراشد، بأمور أخرى غير تلك التي يقوم الأطفال بها. ويتطلب الدعم للأطفال جميعهم نوعاً من الوعي بمراحل الارتقاء في الفن، من أجل مساعدتهم على القيام بالخطوات التالية.

¹ روبن، جوديث آرون: م، ن، ص. 82

ان مفهوم الدعم في سياق العلاج بالفن يتجاوز المفهوم التقليدي ليتحول إلى منهجية علاجية مدروسة تسعى إلى احتواء وتحفيز الشغف الابتكاري لدى الطفل. يركز هذا التأييد على المناخ الداعٍ الذي يضمن الديمومة والتناغم، محذراً من الانزلاق نحو التسامح السلبي الذي قد يعبر عن ضعف الاستجابة أو نقص التفاعل الواعي مع احتياجات الطفل. ثمة تقاطع معرفي يطرحه النص بين أطوار التطور الفني وبين الفهم السيكلوجي المعمق للفرد، بالاستناد إلى المساعي التنظيرية لكل من 'Lowenfeld' و 'Henley' في ترسيخ جذور هذه العلاقة، تستند فاعلية العلاج هنا إلى دمج المفاهيم التنموية بالواقع السيكلوجي الخاص بالطفل، ما يحول الفن من مجرد تعبير عابر إلى قوة دافعة لنمو الطفل وتجاوز أزماته النفسية، سواء كانت ناتجة عن اضطرابات تواصلية كالبكس الانتقائي أو تحديات سلوكية ونفسية عميقة، مما يحول مفهوم العلاج إلى تجربة تطويرية متكاملة، تهدف إلى تمكين الذات ودفعها للإمام.

الخلفية العلمية لاستخدام الفن التشكيلي كأداة تشخيصية وعلاجية.

لقد نضج هذا الحقل العلمي بما يكفي للسماح بفتح شيء من الحوار المثير بين الفن والعلم. والحق أن استكشاف الفنانين للإدراك الإنساني قد بدأ قبل أن تصبح الأدوات العلمية لدراسته متاحة بزمان طويل¹

إن التطور المعاصر في الحقول العلمية، مثل علم الأعصاب وعلم النفس المعرفي، قد بلغ مستوى من النضج يسمح الآن بإقامة حوار منهجي ومثمر مع الفن، وهو ما

¹ جورج ماذر: سيكلوجية الفن، ترجمة: محمد سالم عبادة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة،

يشكل أحد المرتكزات الأساسية لسيكلوجية الفن بوصفها مجالاً يدرس العلاقة بين الإبداع الفني والعمليات النفسية لدى الفنان والمتلقي.

من الواضح أن الأنشطة المرتبطة بالفن مثلت دوافع مهمة للسلوك الإنساني لآلاف السنين، رغم افتقادها أية منافع واضحة مباشرة.¹

الفن يلبي حاجات نفسية داخلية لدى الإنسان، لذلك كان دافعا قويا ومحفزاً لسلوكه عبر التاريخ رغم غياب منفعة مادية مباشرة مثل الطعام والمأوى.

"يساعد العلاج بالفن الأشخاص على حل الصراعات والمشاكل وإدراك السلوك وزيادة الثقة بالنفس، فهو يمكن أن يكون في أوساط غير سريرية وأيضاً يكون في أستوديوهات الفن وورشات العمل في تنمية الإبداع."²

"قالفن يصبح هو اللغة التي يخرج الأفراد بها أفكارهم ومشاعرهم، التي لا يستطيعون التحدث فيها؛ بمساعدة الطبيب أو المعالج النفسي المختص الذي يفهم أكثر عن مشاعر الفرد وسلوكه من خلال رسوماته أو أعماله الفنية، ما يساعده على معالجة مشكلاتهم النفسية."³

يُعدّ العلاج بالفن لغةً بديلةً تتيح للأفراد التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم الدفينة التي قد يصعب صياغتها بالكلمات. ومن خلال استثمار العملية الإبداعية في أوساط مختلفة

¹ جرج ماندر: م، ن، ص 17

² معالج - بالفن - كل - ما - تريديون - معرفته / https://com.lookinmena.com/2026_04_30

³ أميرة عبد الرازق: "العلاج بالفن.. عزز صحتك النفسية بالرسم والتلوين"، موقع الكونسلتو، 23 يوليو 2018، شوهد في 30

أبريل 2026، متاح على الرابط: <https://www.elconsolto.com/psychiatric/psychiatric-news/details/2018/7/23/1397756>

—سواء كانت طبية أو ورشات عمل تنموية— يعمل المعالج المختص على تحليل هذه الأعمال الفنية لفهم سلوك الفرد، مما يساعده على حل الصراعات النفسية، وتطوير الوعي الذاتي، وتعزيز الثقة بالنفس بطريقة إبداعية وفعّالة

المبحث الثاني: سيكلوجية التعبير الفني عند الأطفال:

مفهوم التعبير الفني عند الأطفال:

لا يقتصر التعبير الفني عند الأطفال على كونه مجرد قناة لتمرير الأفكار، بل يمثل منظومة وجدانية متكاملة، مشبعة بالدلالات النفسية التي تتيح للمختصين والمربين استكشاف العالم الداخلي للطفل وفهم أبعاد شخصيته وتوجهاته. فقد بينت العديد من الدراسات في مجال علم النفس التربوية، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، أن مهما كانت اللغة اللفظية مهمة، فإنها محدودة في قدرتها على وصف كل ما يشعر به الطفل في داخله، مما يدفعه إلى استعمال الألوان، ورسم أشكال، ورموز كتعبير بديل. وقد يعبر الأطفال عن مشاعرهم ورغباتهم باللغة والحركة، وعندما يعبرون بالرسم يصبح الفن هو لغتهم التي يعلنون بها عما يجول في وجدانهم¹

إن أساليب الأطفال التعبيرية الفنية لا تمثل فقط مدخل لفهم شخصيته، بل هي أيضا أدوات فعّالة يستخدمها للتكيف مع محيطه الاجتماعي. تأثير رسم الأطفال لم يقتصر على فهم نفسياتهم فحسب، بل صار مصدر إلهام للفن الحديث، حيث وجد فيه المبدعون أفكارا فنية جديدة ومميزة.

¹ خواني زهرة: "مساهمة الدراسات المتخصصة في علاج أطفال التوحد من خلال الفن التشكيلي"، مجلة النص، مج 09 (ع

أصبح الاهتمام بدراسة التعبير الفني في مرحلة الطفولة ضرورة تربوية، لفهم حالة الطفل في المراحل المختلفة التي يمر بها.

إن الأطفال لا يتقيدون بالواقع في رسومهم سواء من حيث النسبة أو التناسب، أو تقسيم المساحات أو عدد التفاصيل، أو إتباع المنظور، أو تداخل الموضوعات... أي أن الطفل يلجأ إلى الرمزية أكثر من الواقعية.¹

ويشير بذلك الكاتب حسن مصطفى محمد عبد العزيز بأن الطفل في رسوماته لا يحاول تمثيل الواقع كما هو، بل يعبر عن عالمه الداخلي ومشاعره بطريقة رمزية وتلقائية، فهو لا يلتزم بالقواعد مثل الشخص البالغ، بل يرسم وفقا لما يعتبره مهما أو مؤثرا فيه لذلك قد يبالغ في بعض العناصر ويهمل أخرى بحسب قيمتها الوجدانية بالنسبة له، وهذا يعطي مفهوما أن رسومات الأطفال هيا لغة تعبير نفسي قبل أن تكون محاكاة بصرية للواقع، وتميل إلى الرمزية أكثر من الواقعية.

ومن المهم معرفة دوافع الطفل، وحاجاته النفسية، بما فيها حاجاته الجمالية والحاجة الى التعبير الفني، وهل هي مشبعة أم لا ومدى اشباعها، وكيفية وطرق اشباعها وهل عن طريق سوى أم غير سوى لأن اشباع الدوافع والحاجات النفسية ضرورة للنمو السوي للشخصية ولتحقيق التوافق النفسي والصحة النفسية، وفيما يلي عرض لأهم دوافع التعبير الفني عند الأطفال، مع الاقرار بأهمية اشباع الدوافع السابقة في التعليم عامة، وتعليم الفن خاصة.²

¹ حسن، مصطفى محمد عبد العزيز: سيكلوجية التعبير الفني عند الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، ص52

² سن، مصطفى محمد عبد العزيز: م، ن، ص 70

من الضروري التأكيد على أهمية فهم العالم الداخلي للطفل، ليس فقط من أجل الحاجات الأساسية تلك التي يعرفها كل الناس، وإنما الغوص في النفسية مع التركيز بشكل خاص على التعبير الفني مع طرح التساؤلات عن الفرص التي يحصل عليها من أجل التعبير عن مواهبه، وإشباع رغباته، وطرق تحقيق ذلك.

إن إعطائه هذه المساحة يساعده على النمو بشخصية متوازنة ونفسية سليمة، وفي المقابل فإن إهمال ذلك قد يؤثر على استقرار الحالة النفسية، لذلك فإنه من الواجب على المنظومة التربوية وكذلك العائلة الحرص على تبني هذا المفهوم كجزء أساسي في التربية الفنية والتعليم.

الفن كوسيط إسقاطي للتعبير الانفعالي

مفهوم الفن ك "وسيط" : (A Medium)

يتبدل الفن من كونه اجتهاد حركي إلى وسيلة حاسمة في العلاج النفسي عندما يعمل ك "وسيط" هذا الوسيط ربما ألوانا على سبيل المثال فإنه يوفر للطفل مساحة للاختيار الحر من بين المواد المتاحة، مما يمهد له البدا في الرسم والتخطيط والتعبير البصري.

أهمية الفن كوسيط إسقاطي في الكشف عن الانفعالات

وعادة ما يعنى المعالجون بالفن أساساً بتناول التعبير الفني للعميل على أنه تعبير رمزي يعكس شخصية صاحبه، ودوافعه وصراعاته وحاجاته الخاصة، وأحاسيسه ومشاعره واتجاهاته، وعلاقاته ببيئته الأسرية والاجتماعية. كما يعنون بتشجيع العميل

على أن يفهم بنفسه مدلولات هذا التعبير، ويكتشف كينونته، ويدرك ذاته موضوعياً، ويعي بها من خلاله.¹

الفن تجسيد بصري للأفكار يتجاوز حدود الكلمات، ويمكن القول إنه لغة رمزية متكاملة فالمعالج بالفن لا يتعامل مع الجمالية الشكلية، بل ك وسيط إسقاطي يسمح للطفل صب انفعالاته الداخلية في صورة مادية حسية. إن نجاح هذا المنهج أكاديمياً راجع إلى تأطير علاقة الفرد ببيئته، بحيث أن الفن يظهر كيف يدرك الشخص تفاعلاته مع محيطه الأسري والاجتماعي وبصمتها عليه. أما العنصر الحاسم في المسار العلاجي هو "الاستبصار الذاتي" إذ يتجاوز المعالج في تحليله للرموز حدود رؤيته الذاتية، بل يعمل كمحرك استكشافي يعين الطفل على قراءة رسائله الخاصة التي لم يستطع التعبير عنها بالكلمات، هذا الوعي الذاتي يعني أن الطفل يبدأ برؤية نفسه ومشكلاته من الخارج عبر عمله الفني مما يؤدي إلى تجلي الوعي بالذات، وهذا الوعي هو الخطوة الأساسية في تفكيك العقد النفسية وتحقيق الاتزان السيكلوجي.

للعلاج بالفن أهمية كبيرة في حياة الانسان والهدف الجوهرى من العلاج بالفن هو الوصول إلى الصحة النفسية التي تعرف بأنها حالة شاملة للصحة والرفاهية النفسية التي تشمل الشعور بالسعادة والرضا والتوافق الدائم مع الذات والبيئة والآخرين، والقدرة على التكيف مع متطلبات الحياة ومعالجة التحديات والضغوط اليومية بصورة صحية وفعالة.²

¹ عبد المطلب أمين القريطي: م، ن، ص. 241.

² مها البريكان: العلاج بالفن مدخل إلى الصحة النفسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2020 ط 1، ص 143

الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال

يمكن استخدام تقنيات معينة لتحسين الذاكرة والتعبير عن الذاكرة من خلال الرسم والتلوين. ومن بين تلك التقنيات، تقنية الطاولة المعبأة بعلب الصبغة الملونة وفرشات لكل لون، حيث يتم تعبئة كل علبة من الطاولة باللون المناسب لإنتاج الصورة المراد رسمها¹

يعتبر العلاج بالفن وسيلة حيوية لتحقيق الصحة النفسية والرفاه الشامل، حيث يمنح الأفراد لغةً إبداعية للتعبير عن مشاعرهم وتجاوز ضغوط الحياة والتوافق مع الذات. ولا تقتصر فوائده على الجانب النفسي وتطويع الثقة بالنفس فحسب، بل تمتد لتشمل تحسين القدرات الذهنية كالذاكرة؛ وذلك عبر تقنيات فنية محددة مثل استخدام طاولات الألوان المنظمة التي تساعد الفرد، بتوجيه من المختص، على استعادة ذكرياته وتجسيدها بصرياً، مما يساهم في حل صراعاته الداخلية ومعالجة مشكلاته بطريقة صحية وفعالة.

المبحث الثالث: نماذج من الاضطرابات النفسية والسلوكية ودور الفن في علاجها

1. التوحد

تعريف التوحد:

يعود أصل مصطلح التوحد الى الكلمة الاغريقية autos وتعني الذات و lsm بمعنى حال غير سوية²

¹ أمينة أبروش: "العلاج النفسي خارج العيادة.. دور فنية في الجزائر تقدم وسائل للمساعدة"، موقع الميادين نت، 7 تموز 2022، شوهد في 1 مايو 2026، متاح على الرابط: <https://www.almayadeen.net/society/العلاج-النفسي-خارج-العيادة>

² خواني زهرة: "مساهمة الدراسات المتخصصة في علاج أطفال التوحد من خلال الفن التشكيلي"، مجلة النص، مج 09 (ع 01)، 2022، ص. 64

"يعرف التوحد إجرائياً وفقاً للجمعية الأمريكية للطب النفسي (American Psychiatric Association) بأنه عجز ثابت في التواصل والتفاعل الاجتماعي، ويتجلى في ثلاثة مظاهر أساسية هي: العجز في التفاعل العاطفي، والعجز في السلوكيات التواصلية غير اللفظية، والعجز في تطوير العلاقات".¹

اضطراب طيف التوحد هو خلل نمائي شامل، يتسم بضعف تراكمي ومستمر في مهارات التخاطب والاندماج الاجتماعي ضمن ظروف الحياة المتنوعة. ويتجلى هذا العجز جلياً في إرساء الروابط الاجتماعية المستقرة، واستيعاب البروتوكولات غير الملفوظة التي تحكم التفاعل البشري. ويظهر هذا القصور في تدني مستوى التفاعل الوجداني والاجتماعي؛ حيث يواجه الفرد تحديات ملموسة في استهلال المحادثات أو التجاوب معها، فضلاً عن انحسار القدرة على تبادل الاهتمامات والمشاعر مع المحيطين به بشكل عفوي، مما يعكس حالة من الانفصال الشعوري. كذلك يظهر هذا الضعف في طريقة التواصل بدون كلمات، مثل قلة النظر بالعين، وصعوبة استخدام حركات اليدين أو تعابير الوجه للتعبير عن المشاعر، بالإضافة إلى الفجوة في الربط بين المنطق واللغة غير المنطوقة، مما يُعيق التواصل السليم ويجعل التفاعل مع الناس أقل فاعلية. ومن ناحية أخرى، يواجه الفرد عقبات واضحة في التواصل مع أقرانه بشكل طبيعي، حيث يواجه صعوبة في التكيف مع السياقات المتغيرة، أو المشاركة في اللعب التخيلي والتعاوني، مع انحسار الاهتمام بالمحيط الاجتماعي وضعف القدرة

¹ أنور الحمادي: معايير DSM-5، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015)، ص. 28

الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال
على التقمص الوجداني، مما ينعكس على قدرته على التأقلم والاندماج في بيئته الخاصة
والعامة.

الأسباب والاعراض:

إنَّ الإحاطة الشاملة باضطراب التوحد تستوجب فحص مسبباته، وتحليل تجلياته
السلوكية والنمائية، باعتبار هذه العناصر المنطلق الأساسي الذي يستند إليه المختصون
لتشخيص الحالة ووضع الحلول التربوية والعلاجية. يرتبط ظهور التوحد بمزيج من
الأسباب الحيوية والبيئية، وتظهر علاماته بوضوح من خلال تحديات في التواصل مع
الآخرين وتبني سلوكيات محددة ومكررة، الأمر الذي يضع دراسة المسببات والأعراض
في مقدمة الأولويات لفهم عالم الطفل التوحدي واحتياجاته الخاصة.

"أما عن الأعراض ومن خلال الدراسات يمكن تشخيص المصابين على الرغم من
اختلافها من طفل إلى آخر بحسب درجة الإعاقة فهي تتمثل في:

- ◀ ضعف التفاعل الاجتماعي والعزلة والانسحاب.
- ◀ عجز في التواصل اللفظي وغير اللفظي وارتباط كبير بالجمادات لا بالأشخاص
وعدم القدرة على التواصل البصري.
- ◀ ضعف الخيال والقدرة على اللعب التخيلي.
- ◀ خلل في الحوار.
- ◀ ظهور أنماط شاذة من السلوك.
- ◀ الإصابة بنوبات الصرع.¹

¹ خواني زهرة: م، ن، ص. 66

تُعد هذه الأعراض انعكاساً دقيقاً لطبيعة الاضطراب النمائي الذي يعاني منه الطفل، حيث يبدو الافتقار إلى الكفاءة الاجتماعية جلياً في صعوبة اندماجه وتواصله مع محيطه، نتيجة ضعف مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي. كما يعيق ضعف القدرة التخيلية سلاسة المشاركة في الأنشطة اللعبية الرمزية، الأمر الذي ينعكس على تطوره الإدراكي والوجداني. ويصاحب ذلك تصرفات روتينية مكررة تُظهر تمسكه الشديد بالاستقرار، علاوة على قصور في مهارات التفاعل اللفظي والتآزر البصري، وفي بعض الأحيان، قد تصاحبها أعراض أخرى مثل النوبات الصرعية، مما يستدعي تدخلاً تربوياً وعلاجياً متخصصاً يراعي خصوصية كل طفل.

وانطلاقاً من هذه الأسباب والأعراض، يبرز الفن التشكيلي كوسيط علاجي يساعد الطفل التوحدي على التعبير عن ذاته وتنمية تفاعله مع محيطه.

العلاج بالفن التشكيلي والموسيقى

"أنه الاستعمال العلاجي للإنتاج الفني، وفي حدود علاقة مهنية من قبل أفراد يعانون من مرض أو صدمة أو مصاعب في الحياة."¹

العلاج بالفن يتجاوز كونه نشاطاً ترفيهياً، بل يمثل منهجاً علاجياً تطبيقياً يستخدم الفن كوسيلة للبوح والتواصل. يركز هذا التعريف في قوته الأكاديمية على ثلاثة أركان محورية: العملية الإبداعية، والإطار المهني، والهدف العلاجي.

¹ خواني زهرة: م، ن، ص. 67.

فمن جانب، يُعد الفن وسيلة تعبير بالرموز لا بالكلمات، تساعد الشخص على إخراج مشاعره وصراعاته الداخلية ووضعها في عمل فني، مما يسهل عملية التواصل لمن يعانون من صدمات تجعل الكلام عصياً. ومن جانب آخر، تتجلى العلاقة الإنسانية المهنية كقلب نابض للشفاء؛ إذ لا يكتمل العلاج إلا برؤية معالج خبير يستنطق الرموز ويقود الدفعة الإبداعية لتتحول الآلام إلى تسامٍ وجودي رفيع. يستهدف هذا النوع من العلاج فئات تعاني من اضطرابات نفسية أو جسدية أو أزمات وجودية، حيث يعمل الفن كأداة لإعادة بناء الذات، وتنظيم الانفعالات، وتخفيف حدة التوتر النفسي الناتج عن الصدمات، مما يجعل المعاناة شيئاً ملموساً بدلاً من كونها طاقة معطلة، ليكون التعامل معها ممكناً.

"تدخل علاجي يستخدم عملية الإنتاج الفني والوسائل البصرية الأخرى لتحفيز الإبداع وتحسين الانفعالات والصحة العقلية."¹

باعتبار الفن سياقاً علاجياً حركياً، يعطي الأولوية لـ سيكلوجية الأداء وتجربة الصنع على حساب القيمة التصويرية للمخرج الفني، كما يعد العمل الفني وسيلة فعالة لإطلاق العنان للمهارات الإبداعية داخل كل فرد، مما يعزز من مرونته النفسية وقدرته على إيجاد حلول رمزية لصراعاته الداخلية. أما من الناحية النظرية، تهدف هذه الآلية إلى حوكمة المشاعر من خلال إخراج الشحنات العاطفية الكامنة وصياغتها في تمثيلات مرئية مادية، مما يسمح للمريض بموضوعية مشكلاته ورؤيتها من الخارج، وهو ما ينعكس إيجاباً على السلامة العقلية عبر تحقيق التناغم بين العمليات غير الواعية

¹ خواني زهرة: م، ن، ص. 68

والوعي، وتفعيل آليات التفريغ الانفعالي وإعادة البناء الذاتي في إطار علاجي آمن وممنهج.

"العلاج بالرسم هو نوع من العلاجات النفسية التي يحقق فيها المريض التواصل مع الآخرين ويعكس مشاعره الداخلية في شكل رسومات متنوعة، ومن خلال مناقشتها وتأويلها يستبصر المريض بذاته، ومن ثم التقدم في العلاج."¹

يُعد العلاج بالفن أسلوباً نفسياً يعتمد على الرسم للتعبير عما يعجز اللسان عن وصفه من مشاعر وأفكار. بدلاً من الاعتماد على الكلام فقط، يقوم الشخص بالرسم أو التلوين أو النحت للتعبير عما بداخله. بعد ذلك، يقوم المعالج النفسي بمناقشة هذه الأعمال الفنية مع الشخص، مما يساعده على فهم نفسه بشكل أعمق، واكتشاف مشاعره وصراعاته الداخلية، والعمل على حله.

"وهو ما يجعل الموسيقى الفن الوحيد الذي يمكن أن يحسه ويشعر به الأطفال المصابون باضطراب التوحد، لأنها تتضمن في حد ذاتها عاملاً طبيعياً صرفاً أشبه بالتيار الكهربائي من شأنه أن يؤثر على الأعصاب، بغض النظر عن مستوى النمو ونسبة الذكاء وهو الامر الذي يجعل التوحديون ان المتخلفين عقليا يقبلون على الموسيقى أكثر من أي أنشطة أخرى، فضلاً على ان الطفل التوحدي يميل الى الموسيقى وينجذب اليها."²

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: (2024). استراتيجية العلاج بالفن وأثرها في علاج التوحد الطفولي. المجلة الجزائرية للعلوم

الإنسانية والاجتماعية، 08(01)، 200-219. ص. 213

² صغيري، ر. و.، وقاسم، ب. م، ن، ص. 206

تمتلك الموسيقى خصائص تأثيرية عميقة لدى المصابين بالتوحد، حيث تعمل كأداة عابرة للموانع اللفظية والوظائف الإدراكية. طبيعة الموسيقى الحسية، الموصوفة بأنها تشبه "تياراً كهربياً"، تسمح لها بالتأثير مباشرة على الجهاز العصبي، مما يدفع الطفل للاستجابة مهما كانت قدراته أو سنه. يُسهم هذا الشغف الطبيعي في جعل الموسيقى أداة فعالة ومستساغة لدى أطفال التوحد؛ لكونها توفر لهم نسقاً للتفاعل الوجداني قد يصعب تحقيقه عبر الأنشطة التقليدية.

أهمية العلاج بالفن لذوي التوحد:

وبناء على ما ذهبت اليه الدراسات المتخصصة كمحاضرة الدكتورة خواني زهرة يمكن حصر أهمية واهداف العلاج بالفن في:

1/ **تحقيق الاتزان الانفعالي:** وذلك بالسماح للطفل التوحيدي بممارسة الفن وأن يكون عضواً مؤثراً في البيئة المحيطة به من خلال ما تتضمنه أعماله الفنية ومن وجهة نظر خاصة لا تتشابه مع الآخرين.

2/ **توظيف العمليات العقلية:** في تنشيط الملاحظة والانتباه والإحساس والإدراك والاختيار والتعميم والقدرة على فهم المعلومات البصرية وكل هذا التوظيف مع المتوقع الإفادة منه.

3/ **تنمية الحواس:** وذلك بتناول الخامات (الورق، الأقلام، الأصباغ...) مما يساعد على تنمية الحواس والقدرة على تمييز الأشكال والألوان والهيئات والصور فضلاً عن توظيف العضلات الكبيرة والصغيرة ولغة الجسد.

4/ **الشعور بالثقة:** بتقوية قدراتهم على التناسق والمشاركة بدلاً من الانسحاب والعزلة.

5/ **الاهتمام بالقيمة الفردية:** بغض النظر عن مستوى قدرات كل طفل ونواحي النقص

في شخصيته ونسبة الإعاقة التي يعاني منها فإن المعالج يعمل على تطويرها.¹

الأهداف:

أ: تنمية المهارات اللغوية:

ان اهم حالة تظهر في أطفال ذوي التوحد هي ضعف مهارات الاتصال اللغوي وقهم اللغة المنطوقة وغير المنطوقة، التعبير الجسدي والتفاعل الاجتماعي الفاتر لهذا يركز المعالجون على إعادة تأهيل الوظيفة التعبيرية لديهم... باعتبار الفنون التشكيلية أداة اتصال مباشرة غير اللفظية²

ب: تنمية المهارات الإدراكية والعقلية:

يتميز الاطفال التوحديين بفقدانهم القدرة على الإنجاز في الحياة اليومية وذلك بسبب ضعف الثقة بالنفس، طبيعة حالتهم الانسحابية، فلا يبادرون الى الإنجاز ولا يأبهون بالمنافسة وممارستهم للفنون التشكيلية من شأنه أن يشعرهم باستكشاف قدراتهم على إمكانية الفعل والحركة والانجاز ذلك من خلال تشجيعهم ومكافأتهم³

ج: تنمية المهارات الانفعالية:

أطفال ذوي التوحد تختفي عندهم القدرة على التعبير عن مشاعرهم، فيجتهد المعالجون

¹ خواني زهرة: م، ن، ص. 75. 76

² خواني زهرة: م، ن، ص. 77.

³ خواني زهرة: م، ن، ص. 77.

لإظهار الانفعالات وتطويرها وإخراجها من دائرة التخلف المشاعري بواسطة الرسوم التي من طبيعتها استكشاف الحالات النفسية الانفعالية والعقلية، ومن خلال الرموز التشكيلية التي يعبرون بها ومن خلال معادلات تكرارها وطرق تنظيمها"¹

د: تنمية المهارات الحركية والجسدية:

إن الاستخدام المتكرر لأدوات الرسم والوسائط التعبيرية وطبيعتها المادية كخامات أو مواد تتسم بالمرونة والطواعية أو الصلابة أو مميزات أخرى كالأصوات والروائح والأحجام تسمح للطفل أن يستكشف هذه الخصائص وبالتالي يطوع تعامله معها من خلال تمييز هذه الخصائص مما يكسبه المهارة اليدوية والعضلية وتنمي حسب التوافق والانسجام بين المهارات الحسية والحركية، والتحكم العضلي والجسدي في التعامل مع هذه المواد فتتمو عنده كفاءة الأداء الحركي"².

هـ: تنمية المهارات الاجتماعية:

"وكذلك تهدف في معظم الأحيان بخلق علاقة بين الطفل والمعالج ومن ثم العمل الفني، وهذا الإجراء بحد ذاته سيوظف بتطويره في تعزيز قدرات الطفل في أداء أعماله اليومية ودمجه تدريجيا في أداء أعماله الاجتماعية تتمثل في تبادل الحوار ولغة الاتصال في علاقاته الشخصية مع الآخرين والمشاركة في أداء الأعمال وقد تتعدى إلى تقديم خدمات للآخرين بالأخذ والعطاء واستيعاب معاني ذلك في حياته."³

¹ خواني زهرة: م، ن، ص. 78

² خواني زهرة: م، ن، ص. 78.79

³ خواني زهرة: م، ن، ص. 79

أهمية العلاج بالموسيقى لذوي التوحد:

1- الفوائد والآليات:

ان ظهور العلاج بالموسيقى كنهج واعد يقدم آفاقاً جديدة لتحسين جودة حياة الأفراد ذوي التوحد. لا ينحصر أثر هذا العلاج في جانبه الترفيهي، بل يتجاوز ذلك ليكون وسيلة علاجية فاعلة تركز على أسس عصبية وسيكلوجية دقيقة، تتجاوز الموسيقى حدود اللغات لتصل إلى عمق الذاكرة والمشاعر، محفزةً العقل على التفاعل والتعبير بطريقة استثنائية تعجز عنها الوسائل التقليدية. تُسلط هذه المقدمة الضوء على فاعلية العلاج بالموسيقى في فك رموز التوحد، مع شرحٍ للركائز والفوائد التي تجعل من النغم وسيلةً للارتقاء بنموهم الشامل.

"استخدام الموسيقى كأداة تشجع على حدوث النمو في جوانبهم الاجتماعية والانفعالية، والمعرفية، والحس حركية".¹

الموسيقى ليست مجرد غاية فنية، بل هي وسيلة علاجية وتربوية متكاملة، فهي تُعزز التنشئة الاجتماعية عبر ترسيخ العمل الجماعي والتفاعل مع المحيط، كما تُثمي الجوانب الوجدانية بتقديم متنفس صحي للتعبير عن الذات واستثمار الطاقات.

تساعد الموسيقى كشكل من أشكال التواصل غير اللفظي على تحسين التواصل بين الطفل المصاب باضطراب التوحد وأفراد المجتمع الذي يعيش فيه".²

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، س، ص. 209

² صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، ن، ص. 209

تُمثل الموسيقى أداةً جوهريّةً للاتصال غير اللفظي، حيث تساهم في تعزيز الاندماج المجتمعي للأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد وتطوير مهاراتهم التفاعلية. فبالنظر إلى التحديات التي يواجهها هؤلاء الأطفال غالباً في التواصل اللفظي وفهم الإشارات الاجتماعية المعقدة، توفر الموسيقى بديلاً منظماً ومحفزاً. تساهم عناصر الموسيقى كالإيقاع واللحن في تعزيز قدرات الطفل على الإنصات والتركيز والمحاكاة، وكلها ركائز أساسية لبناء تواصل فعال. كما أنها تُسهّل التعبير عن المشاعر والانفعالات بطريقة آمنة ومقبولة، مما يقلل من الإحباط ويعزز الثقة بالنفس، كما تساهم الموسيقى الجماعية في تطوير مهارات المشاركة والاندماج، مما يساعد الطفل على تكوين علاقات اجتماعية وتوسيع نطاق تفاعله مع مجتمعه الصغير.

إنها تعتبر وسيلة ناجحة للتفاعل نظراً لأن كل طفل مصاب باضطراب التوحد يستجيب بشكل إيجابي لنوع معين منها على الأقل¹

"إنها تعتبر أسلوباً غير تهديدي وهو ما يشجعه على التفاعل الاجتماعي"²

فالأطفال المصابون بالتوحد غالباً ما يجدون صعوبة في التفاعل الاجتماعي المباشر والتواصل اللفظي، وقد يجدون أنفسهم مثقلين بـ الارتباك وسط اللقاءات العامة. من هنا، تظهر أهمية الموسيقى في العلاج لأنها مرتبة وواضحة ولا تحتاج للكلام، وهذا يعطي الطفل إحساساً بالأمان والاستقرار، هذه الأجواء الآمنة تخفف من التوتر والعبء الذهني، مما يتيح للطفل المشاركة في نشاط جماعي ممتع بعيداً عن ضغوطات

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب. م، ن، ص. 209

² صغيري، ر. و.، وقاسم، ب. م، ن، ص. 209

الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال
التواصل المباشر، عبر الفعاليات الموسيقية الجماعية، كالأداء الآلي الموحد أو الإنشاد
الجماعي.

أساليب العلاج بالموسيقى لأطفال التوحد

الموسيقى لغة يفهمها الجميع، ولها قدرة خاصة على تشغيل نصفي الدماغ معاً، وهذا
يوضح سبب تفاعل أطفال التوحد المميز مع الألحان والإيقاعات. إنَّ أساليب العلاج
بالموسيقى ليست مجرد ترفيه، بل هي إجراءات دقيقة تهدف لرفع كفاءة المهارات
اللغوية والاجتماعية والحركية، لتحويل اللحن إلى برنامج استشفائي متكامل، وهي:

الغناء: سواء غناء فردي يقوم فيه الطفل التوحدي بالأداء لوحده، أو غناء جماعي
يكون في شكل فريق يجمع المرضى مع معالجهم؛¹

الغناء طريقة علاجية قوية، يمكن استخدامها بأسلوبين مختلفين. أولاً، النشاط الغنائي
المنفرد، حيث يغني الطفل وحده ليعبر عن مشاعره بوضوح، وهذا يساعده على الشعور
بالفخر وتطوير لغته في بيئة مريحة وملهمة. ثانياً، يبرز دور الأداء الغنائي الجماعي؛
إذ يجمع المرضى الصغار بمن حولهم في إطار تفاعلي، مما ينمي لديهم الذكاء
الاجتماعي وروح الفريق، ويخلق بيئة من التآزر والاحتواء المتبادل. يعمل كلا المنهجين
على تفعيل المخرجات العلاجية للموسيقى، ومن أبرزها تعزيز الانتباه، وتقويض
السلوكيات النمطية، وتحفيز النضج الانفعالي والتفاعلي لدى ذوي اضطراب طيف
التوحد.

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، ن، ص. 211

العزف على مختلف الآلات الموسيقية: يساعد كل نوع منها على علاج نقص معين يعاني منه الطفل التوحدي، وهو ما يُنمي ثقته بنفسه، يقوي شخصيته، يرفع من روحه المعنوية، يزيد من توازنه، يُحسن آدائه لمختلف الحركات الفردية أو الجماعية وأنماط التنفس واسترخاء العضلات؛¹

يعتبر استخدام الآلات الموسيقية ركيزة أساسية في جلسات العلاج بالموسيقى للأطفال المصابين بالتوحد. حيث يساهم كل نوع من الآلات في معالجة جوانب نمائية وسلوكية محددة يعاني منها الطفل، كما يؤدي هذا النشاط إلى تنامي ثقة الطفل وتعزيز استقلالته، مع تحسن ملحوظ في طاقته الإيجابية، ويدعم العزف التوازن الحركي ويطور الأداء العضلي في الحركات المنفردة والجماعية. كما يلعب دوراً جوهرياً في تنسيق التنفس وتحقيق الارتخاء البدني، مما يعود بالنفع على الصحة الجسدية والنفسية للطفل، ويمنحه وسيلة للتعبير غير اللفظي وتطوير مهاراته الحسية والحركية الدقيقة.

الارتجال: يسمح للطفل التوحدي بالتعبير عن مختلف مشاعره بطريقة غير لفظية، كما أنه يساعد على تقوية علاقته مع معالجه وكسب ثقته، وكذا تفاعله مع غيره من الأفراد؛²

يُشكل الارتجال الموسيقي عنصراً علاجياً حيوياً ضمن الممارسات الموسيقية الموجهة لمصابي اضطراب طيف التوحد. حيث يوفر للطفل التوحدي مساحة آمنة ومرنة للتعبير عن مختلف مشاعره بطريقة غير لفظية من خلال الموسيقى، كما يستطيعون إيصال

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، س، ص. 211

² صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، ن، ص. 211

مشاعرهم وتجاوز العوائق اللغوية التي قد تقف في طريقهم، كما تُسهم هذه الطريقة في تطوير مهاراته الاجتماعية وتواصله مع المحيطين به، من أقران وراشدين، عبر الانخراط في نقاشات موسيقية مرتجلة، مما ينمي مهارات التواصل الاجتماعي والتعاون لديهم.

الإنصات: "يساعد على تطوير المهارات المعرفية كالانتباه والذاكرة وغيرها؛"¹

تعتمد فعالية المعالجة بالموسيقى لأطفال التوحد بشكل كبير على تقنية الإنصات كمنهج علاجي أساسي. إذ يعزز تنمية مهاراتهم الذهنية؛ فعندما يركز الطفل على الموسيقى أو الإيقاعات، ينشط لديه الانتباه التركيزي والمستمر، مما يعزز من قدرته على معالجة المعلومات الحسية. يساعد الإنصات الطفل على تدريب ذاكرته السمعية؛ فحين يحاول تذكر أغنية أو تتابع صفعات معينة، فإنه يمرّن عقله على تخزين الأصوات واستعادتها بكفاءة أكبر، إذ يتجاوز تأثير هذه المهارات الإدراكية حدود البرامج العلاجية، لينعكس إيجاباً على نجاح الطفل الأكاديمي واندماجه الاجتماعي في شتى مجالات حياته.

2. اضطراب نقص الانتباه المصحوب بفرط الحركة

تعريف:

اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة، هو اضطراب نفسي يصيب الكثير من الأطفال. إذ يؤثر على حوالي 3 إلى 5 في المائة من الأطفال على مستوى العالم، حيث يتم

¹ صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: م، ن، ص. 211

الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال

تشخيص حوالي 2 إلى 16 % من الأطفال في سن المدرسة. لاسيما أنه اضطراب مزمن يستمر في 30 إلى 50 % من الأشخاص الذين تم تشخيصهم في مرحلة الطفولة بظهور الأعراض حتى مرحلة البلوغ.¹

من خلال التعريف نفهم ان نقص الانتباه وفرط الحركة حالة عصبية ونفسية واسعة الانتشار، حيث تظهر الإحصاءات العالمية تأثره المباشر على نسبة تتراوح بين 3% إلى 5% من الأطفال، وتزداد هذه النسبة لتصل إلى 16% لدى طلاب المدارس، وهو ما يضعه ضمن أبرز العقبات النمائية انتشاراً في الأوساط الدراسية. يتقرد هذا الاضطراب بكونه مزمناً؛ فهو لا ينحصر في فترة الطفولة، بل يمتد ليصبح سمة مستقرة في حياة الفرد، إذ يحمل نحو نصف المصابين به أعراضهم وتحدياتهم معهم إلى مرحلة البلوغ. يوضح هذا المسار أننا أمام اختلاف جوهري في عمل الدماغ وليس مجرد نوبات سلوكية مؤقتة، وهو ما يفرض توفير رعاية طويلة الأمد تتماشى مع كل مرحلة من مراحل النمو.

أما الدكتورة فاطمة ابوقورة أعطتنا تعريف وصفي عام

شروود الذهن وعدم القدرة على التركيز والانتباه وكثرة النشاط الذي لا معنى له وكذلك سرعة التهيج والاستتارة وكل من يعاني منه لا يستطيع التركيز على ما يقوم به من أعمال مدرسية كانت ام غيرها أو حين يتحدث عن موضوع ما، وقد يصحب تشتت

¹ مستشفى فيجثاني الدولي: (بدون تاريخ). اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD) أو AD/HD أو ADD. تم الاسترجاع في 7 مارس 2026، من [URL].

الانتباه هذا نشاط حركي زائد لا هدف له ولا معنى له إلا مجرد الحركة وسببه اضطراب في جزء من الجهاز العصبي المركزي".¹

يستعرض هذا التعريف حقيقة أن الاضطراب ليس مجرد عرض مؤقت أو سلوك عرضي، بل هو نتاج خلل وظيفي في الجهاز العصبي المركزي يؤثر بشكل مباشر على العمليات المعرفية والسلوكية للطفل. ويتجسد هذا الأثر في تشتت ذهني متواصل، يصحبه عجز عن توجيه التركيز نحو الواجبات الدراسية أو الممارسات اليومية. كما يرتبط الاضطراب بظهور نشاط حركي عشوائي يفتقر للهدف أو المعنى، وتلازمه حالة من التحفز المفرط والاندفاعية، مما يعوق قدرته على التحكم في ردود أفعاله أو الحفاظ على ترابط أفكاره.

أعراض ومظاهر اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD)

أولاً: أعراض قصور الانتباه (Inattention)

تتمثل في المظاهر السلوكية التالية:

- ضعف الانتباه والتركيز في التفاصيل، والوقوع في أخطاء ناتجة عن عدم العناية في العمل المدرسي والأنشطة الأخرى.
- صعوبة مستمرة في الحفاظ على الانتباه أثناء أداء الواجبات أو أنشطة اللعب.
- عدم الإنصات أو الاستجابة عند التحدث إليه مباشرة في كثير من الأحيان.

¹ عبد الوهاب، أماني عبد المقصود، شعبان، عبيد عبد الله، وأبوقورة، فاطمة محمد عبد اللطيف: (2017). برنامج مقترح قائم على العلاج بالفن (الخزف) لخفض قصور الانتباه وفرط الحركة لدى عينة من الأطفال. المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد العاشر (الجزء الثاني)، 437. ص. 439.

- الإخفاق في اتباع التعليمات وصعوبة إنهاء العمل المدرسي أو الواجبات والمهام في مكان العمل (دون أن يكون ذلك ناتجاً عن سلوك معارض أو نقص في الفهم).

- صعوبة دائمة في تنظيم الواجبات والأنشطة.
 - تجنب المهام التي تتطلب جهداً عقلياً مستمراً، مثل العمل المدرسي أو الواجب المنزلي، والميل إلى كرهها.
 - فقدان الأشياء الضرورية لأداء الواجبات والأنشطة (مثل الألعاب، الأدوات المدرسية، الأقلام، والكتب).
 - سهولة تشتت الانتباه بأي مثير خارجي.
 - نسيان الأنشطة والمهام اليومية بشكل متكرر.¹
- تتجاوز هذه الأعراض كونها مجرد تشتت عابر، إذ تشير بوضوح إلى اضطراب مستمر في الوظائف التنفيذية، وهي العمليات المعرفية المسؤولة عن توجيه الأفكار وضبط السلوك. وفيما يلي تحليل مفصل لهذه الأعراض:

أ. **ضعف الانتباه والتركيز في التفاصيل:** تشتت الانتباه وإهمال التفاصيل يعكسان عجز الدماغ عن ترتيب الأولويات؛ فهو يعامل الضجيج الجانبي والأفكار العابرة بنفس أهمية المهمة الأساسية، مما يحوّل التركيز إلى عبء مرهق.

ب. **صعوبة استدامة الجهد العقلي:** إن تعثر التركيز والنفور من الأنشطة الذهنية المكثفة ليست مؤشرات على الخمول أو تدني القدرات العقلية، بل هي مظاهر سريرية للإجهاد العصبي. فالجهد المبذول لتوجيه الانتباه يستنفد الموارد الإدراكية

¹ عبد الوهاب، أماني عبد المقصود، شعبان، عبير عبد الله، وأبوقورة، فاطمة محمد عبد اللطيف: م، ن، ص 440.

للمصاب بسرعة، مما يجعل التجنب آلية دفاعية لإرادية لحماية الدماغ من الاحتراق الذهني.

ج. **فجوات في الذاكرة العاملة:** تُعتبر الذاكرة العاملة بمثابة المذكرة المؤقتة للعقل؛ حيث نعالج فيها المعلومات الحالية. وعندما تضعف، تظهر علامات مثل تكرار النسيان أو ضياع المقتنيات وصعوبة الالتزام بالخطوات المركبة، لأن المعلومات تتلاشى من الذهن قبل أن يتمكن العقل من معالجتها أو حفظها.

د. **خلل في التنظيم والتخطيط:** إن التعثر في إدارة المهام الدراسية يتجاوز كونه مظهراً من مظاهر العشوائية؛ فهو يعكس قصوراً في الوظائف التنفيذية للدماغ، وتحديدًا في القدرة على الاستشراف الزمني، وتحليل المشاريع الكبرى إلى وحدات إجرائية، وتقدير المدى الزمني اللازم لكل منها. هذه الكفايات التنظيمية، التي تُمارس تلقائياً لدى الكثيرين، تشكل عائقاً جوهرياً يستوجب تبني أدوات منهجية ودعماً خارجياً متخصصاً.

ثانياً: أعراض النشاط الزائد (Hyperactivity)

تظهر من خلال السلوكيات الآتية:

- القيام بحركات عصبية باليدين والقدمين، والتملل أثناء الجلوس في المقعد.
- ترك المقعد في الفصل أو في المواقف الأخرى التي يُتوقع فيها البقاء جالساً.
- الجري حول المكان أو التسلق بشكل مفرط في مواقف غير ملائمة (وفي مرحلة المراهقة قد يقتصر ذلك على الشعور بعدم الاستقرار).
- صعوبة الانخراط في اللعب أو الأنشطة الترفيهية بهدوء.
- الحركة المستمرة والنشاط الدائم كما لو كان "يقاد بمحرك".
- التحدث المفرط والزائد عن الحد.¹

¹ عبد الوهاب، أمانى عبد المقصود، شعبان، عبير عبد الله، وأبوقورة، فاطمة محمد عبد اللطيف: م، ن، ص. 440

ان هذه التصرفات تتجاوز كونها مجرد نشاط مفرط أو فوضى؛ فهي في الواقع انعكاس ملموس لرغبة داخلية قوية في النشاط وتحدي في الضبط الحركي. ويتضح لنا أصل هذه الأعراض بشكل أدق عند تحليل الدوافع العصبية الكامنة خلفها:

أ. **ضعف في "مكاج" الدماغ:** تُعد الحركية المفرطة والتلمل انعكاساً لضجيج داخلي في الدماغ لا يهدأ. وبسبب ضعف آليات الكبح، يظل الجسد في حالة استجابة فورية لمحفزات الدماغ الصاخبة. بالنسبة لهؤلاء، الجلوس بصمت ليس مجرد سكون، بل هو معركة واعية ضد رغبة جامحة تشبه محركاً يعمل بكامل قوته ولا يمتلك مفتاح إيقاف.

ب. **الحركة كوسيلة للتنظيم الذاتي:** بصورة تبدو متضاربة، تُعد الحركة المستمرة آلية تعويضية غير واعية لتعزيز الاستثارة الذهنية والتركيز. تساهم هذه الأفعال الحركية في إطلاق النواقل العصبية كالدوبامين لمعالجة العجز الكيميائي المرتبط بالاضطراب. وبناءً عليه، لا يُصنف التلمل كمشتت للانتباه، وإنما كجهد ذاتي يبذله الجهاز العصبي لتنشيط قدراته الوظيفية تجاه المهام الساكنة.

ج. **صعوبة التكيف مع السياق الاجتماعي:** تجسد سلوكيات مثل النشاط الحركي الزائد في سياقات غير مواتية، وصعوبة الانخراط في أنشطة هادئة، التناقض بين الاحتياج العضوي للحركة وبين الضوابط الخارجية. فالأمر ليس تمرداً متعمداً، بل هو غلبة الاندفاع على القدرة على الضبط الذاتي. ومع النضج، غالباً ما تصبح ذاتية هذه الحركة لتظهر على شكل تملل ذهني أو توتر باطني.

د. **فرط الحركة اللفظي:** التحدث الزائد هو الوجه غير المرئي لفرط الحركة. هو حالة من الاندفاع الكلامي ناتجة عن عدم قدرة الدماغ على فلترة الأفكار أو ضبط توقيتها، مما يجعل الكلمات تخرج بشكل تلقائي وغير مقصود قبل ترتيبها ذهنياً.

ثالثاً: الأعراض الاندفاعية (Impulsivity)

تتحدد في النقاط التالية:

- الاندفاع في الإجابة على الأسئلة قبل اكتمال طرحها.
 - صعوبة واضحة في انتظار الدور.
 - مقاطعة الآخرين أو التطفل عليهم (مثل اقتحام المحادثات أو الألعاب).¹
- هذه السلوكيات ليست ناتجة عن سوء أدب أو حب السيطرة، وإنما هي انعكاس لقصور في آليات الكبح العصبي ومعالجة الاندفاعات. الاندفاعية هي التصرف بناءً على أول فكرة أو شعور يخطر بالبال دون وجود "فلتر" أو "فترة انتظار" لتقييم العواقب. يمكن تحليل هذه النقاط كالتالي:

- أ. **الاندفاع المعرفي (Cognitive Impulsivity):** يمثل الاندفاع الإدراكي في تقديم الإجابات غير المكتملة جوهر هذه المشكلة. الخل هنا ليس معرفياً، بل يتعلق بضعف الكبح، حيث يتجاوز الدماغ مرحلة المعالجة المعلوماتية سعياً للوصول الفوري للنتائج. إنها حالة من الاستباق غير المدروس.
- ب. **الاندفاع السلوكي (Behavioral Impulsivity):** تعتبر مشكلة انتظار الدور مثلاً حياً هنا؛ فالتوقف يتطلب كبحاً واعياً للرغبة في الوصول للهدف. لكن لدى المصاب، يكون هذا الكبح هزياً، حيث يتحول الإلحاح الداخلي إلى عبء نفسي وجسدي لا يُطاق. ما يظهر للآخرين كقلة صبر أو تجاهل، هو في الواقع معاناة داخلية وعجز عن مقاومة اندفاع قهري.
- ج. **الاندفاع الاجتماعي (Social Impulsivity):** يُعد تكرار المقاطعة أو الاقتحام المفاجئ للمحادثات تجلياً واضحاً لأثر الاندفاعية على جودة العلاقات.

¹ عبد الوهاب، أمني عبد المقصود، شعبان، عبير عبد الله، وأبوقورة، فاطمة محمد عبد اللطيف: م، ن، ص. 440

فالمصاب بهذا الاضطراب يعالج الأفكار بصورة آنية ملحة؛ حيث يولد التعليق في ذهنه كضرورة قصوى يجب التصريح بها فوراً لتجنب تلاشيها. هذا السلوك نابع في الأصل من محدودية سعة الذاكرة العاملة، التي تعجز عن تخزين الفكرة وتأجيلها للحظة المناسبة، مما يجعل الاقتحام هنا اندفاعاً قهرياً مدفوعاً بخشية النسيان، وليس رغبة في التطفل أو فرض الرأي.

الأسباب والعوامل المؤثرة في اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD).

أولاً: العوامل الوراثية والجينية (Genetic Factors)

أ- **المكون الوراثي العائلي:** يُصنف هذا الاضطراب ضمن الأعلى تأثراً بالوراثة في الطب النفسي؛ إذ تُعزى 76% من الفروق الفردية فيه إلى عوامل جينية بحتة، وفقاً لدراسة فاراون وآخرين (2005).¹

وفقاً للدراسة المذكورة، فإن حوالي 76% من أسباب ظهور هذا الاضطراب لدى شخص وعدم ظهوره لدى آخر تعود إلى اختلافات جينية.

ب- **الجينات المرتبطة بالنظم الكاتيكولامينية:** يرتبط هذا الاضطراب بمجموعة من الجينات الدقيقة، ولاسيما تلك المسؤولة عن تنظيم النواقل العصبية (catecholaminergic)، ومع ذلك، فإن تأثير كل جين بمفرده يظل محدوداً جداً في زيادة احتمالية الإصابة.²

الاستعداد الوراثي لهذا الاضطراب ليس ناجماً عن جين واحد قوي، بل عن تأثير تراكمي لمجموعة كبيرة من الجينات المختلفة. تمتلك هذه الجينات تأثيراً تراكمياً، حيث

¹ ت. س. مورياما وآخرون: "اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة"، فصل في: ج. م. ري (محرر)، الكتاب المرجعي للاتحاد الدولي للطب النفسي للأطفال والمراهقين والمهن المرتبطة به في الصحة النفسية للطفل والمراهق، ترجمة: سعاد موسى، (جنيف: الاتحاد الدولي للطب النفسي للأطفال والمراهقين والمهن المرتبطة به، 2012)، ص. 4

² ت. س. مورياما وآخرون: م، ن، ص. 4

إن المساهمة الفردية لكل جين في رفع احتمالية الإصابة تُعد هامشية. يتحول الاحتمال إلى خطر حقيقي عند اجتماع حصيلة كبيرة من هذه المتغيرات الجينية في آن واحد. وتشير العبارة تحديداً إلى أن العديد من هذه الجينات تلعب دوراً في تنظيم عمل النواقل العصبية الكاتيكولامينية، وهي مواد كيميائية حيوية في الدماغ مثل الدوبامين والنورادرينالين.

ت- **التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئية:** الاضطراب ليس وراثياً بالكامل، بل ينبع

من التفاعل المستمر بين الاستعداد الجيني والعوامل البيئية المحيطة، وهو ما تم رصده في تباين جينات مثل DAT1 و DAT4 أثناء فترة الحمل.¹

الجينات تضع الاستعداد للإصابة، والبيئة هي التي تفعل هذا الاستعداد ليتحول إلى اضطراب واقعي. بمعنى آخر، الإصابة هي نتيجة تفاعل معقد ومستمر بين الوراثة (الطبيعة) والبيئة المحيطة. وكمثال على ذلك، تشير العبارة إلى أن العلماء لاحظوا كيف أن بعض العوامل البيئية خلال فترة الحمل يمكن أن تؤثر على جينات محددة مثل DAT1 و DRD4، حيث تعتبر هذه الجينات القنوات المسؤولة عن نقل الدوبامين، وتكشف كيف يمكن للعوامل البيئية أن تعيد تشكيل الاستعداد الوراثي وتتحكم في تفعيله منذ المرحلة الجنينية.

ثانياً: المخاطر البيئية والبيولوجية

أ. **الابتسار (الولادة المبكرة):** تؤكد الدراسات أن الولادة المبكرة تعدّ العامل البيئي

الأشد ارتباطاً بظهور الاضطراب، حيث تزداد معدلات الإصابة بشكل ملحوظ

لدى هذه الفئة (Bhutta et al, 2002).²

من بين جميع العوامل البيئية التي تمت دراستها (مثل التنشئة، والتعرض للسموم،

¹ ت. س. مورياما وآخرون، م، ن، ص. 4

² ت. س. مورياما وآخرون، م، ن، ص. 4

والضغوطات النفسية، إلخ)، وجد الباحثون أن الولادة المبكرة (قبل إتمام فترة الحمل الكاملة) هي أقوى عامل بيئي مرتبط بزيادة خطر الإصابة بهذا الاضطراب.

ب. **تعرض الجنين للتبغ:** يُصنف تدخين الأم أثناء الحمل كعامل خطر محتمل، حيث يؤثر سلباً على نمو الجنين وتطوره العصبي داخل الرحم¹.

يعني أن تدخين المرأة الحامل يُعتبر سبباً قد يزيد من احتمالية إصابة طفلها بهذا الاضطراب، حيث أن المواد الكيميائية الضارة الموجودة في السجائر تنتقل من الأم إلى الجنين عبر مجرى الدم.

ج. **المضاعفات الطبية والنفسية:** تشمل قائمة الاحتمالات التي لا تزال تحت الدراسة: الإصابات المخية الناتجة عن الصدمات، تعرض الجنين للكحول والمخدرات، والمشاكل النفسية للأم أثناء فترة الحمل².

أي ضرر يلحق بالدماغ بسبب حادث أو إصابة جسدية، خاصة في مراحل الطفولة المبكرة، كما أن استهلاك الأم للكحول أو المخدرات أثناء فترة الحمل قد يؤثر سلباً على نمو دماغ الجنين ويزيد من خطر إصابته بالاضطراب، إضافة إلى ذلك فإن تعرض الأم لضغط نفسي شديد أو قلق أو اكتئاب خلال فترة الحمل يُعتقد أنه قد يؤثر على البيئة الكيميائية داخل الرحم، مما يؤثر بدوره على تطور دماغ الجنين.

ثالثاً: عوامل غير مؤكدة (تحت التحفظ العلمي)

الإضافات الغذائية والسموم البيئية وألعاب الحاسوب:

¹ ت. س. مورياما وآخرون، م، ن، ص. 4

² ت. س. مورياما وآخرون، م، ن، ص. 5

يختتم النص بالتأكيد على أنه "لا توجد بيانات كافية" حتى الآن لربط اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة بشكل قطعي بهذه العوامل، مما يستوجب الحذر العلمي عند ذكرها كأسباب مباشرة.¹

يظل الباب مفتوحاً أمام المراجعات العلمية، إذ لم يبلغ البحث في هذه العوامل مرحلة القطع المعرفي أو التفسير النهائي بعد، وأي ادعاء بأنها أسباب مباشرة هو ادعاء متسرع يفنقر إلى الأدلة الكافية.

العلاج بالفن التشكيلي

1- تهيئة الظروف لصنع الفن: تبدأ كل بيئة إبداعية بموقف إيجابي ومحفز. تكمن فوائد العلاج بالفن في عملية صنع الفن نفسها، وليس في المظهر الجمالي للمنتج النهائي، لذا احرص على التركيز على جهد طفلك بدلاً من النتيجة² تتجلى روعة الفن في المسار، بينما النتيجة مجرد أثر، ف بدلاً من الحكم على النتيجة النهائية للوحة الطفل، يجدر بنا تقدير العملية الإبداعية والانغماس العاطفي والجهد المبذول فيها. إن تهيئة بيئة محفزة تتجاوز التقييمات السلبية تتيح للفن أن يصبح قناة للتفريغ الانفعالي ودعامة أساسية للمرونة النفسية، حيث يشعر الطفل أن محاولته واستكشافه للألوان والأشكال هي الإنجاز الحقيقي، الأمر الذي يُبدد لديه رهبة الإخفاق ويُحفزه على الاستكشاف الإبداعي دون قيود.

¹ ت. س. مورياما وآخرون، م، ن، ص. 5

² ستايسي نيلسون، "دليل الآباء لتقنيات ومشاريع العلاج بالفن"، ADDitude، 8 يناير 2025، <https://www.additudemag.com/art-therapy-projects-activities-adhd-children>

هَيَّ مساحة عمل خالية من المشتتات البصرية. أبعد جميع الأجهزة الإلكترونية. تأكد من أن أدواتك الفنية في حالة جيدة، وقابلة للغسل، ويسهل الوصول إليها. قلّل الخيارات إلى اثنين أو ثلاثة لكل مادة أو حرفة. حاول إنشاء حدود مرئية حول مساحة العمل عن طريق تحديد المحيط بشريط لاصق أزرق لتسهيل التركيز داخل المربع.¹

إن ضرورة إعداد المكان والأدوات لضمان تفاعل الطفل ونجاح جلسته العلاجية أو الإبداعية له أهمية كبيرة، فخلق بيئة منظمة ومحددة يساعد على توجيه تركيزه الذهني نحو النشاط الفني دون تشتت. مع تحديد الخيارات بلونين أو ثلاثة الأمر الذي يجنب الطفل التشتت والارتباك الناتج عن كثرة البدائل، بينما يعمل الشريط اللاصق كحدود بصرية واضحة تشعره بالأمان والاحتواء داخل مساحته الخاصة، الغاية هي تهيئة مساحة محفزة للتركيز تعزز لدى الطفل الاستقلالية والارتياح، مما يسهل عليه الانغماس الكلي في عملية التفريغ الإبداعي.

2- أنشطة الإحماء

تعتبر أنشطة الإحماء عنصر ضروري في جلسة العلاج بالفن، بحيث تعمل على إعداد المشاركين للتفاعل مع الجوانب الابتكارية والعاطفية. تهدف هذه الأنشطة إلى تخفيف التوتر، تنشيط الحواس، وتوجيه التركيز نحو الداخل، نطرح فيما يلي ثلاث آليات لتطبيق تمارين الإحماء بفاعلية:

أ. الماندالا: " الماندالا هي دائرة تحتوي على نقش داخلي يمثل الكون في الرموز الهندوسية والبوذية. يساعد رسم الماندالا على خلق طاقة هادئة وتعزيز التركيز. يبدأ

¹ ستايسي نيلسون، م، ن.

بعض معالجي الفنون جلساتهم بطلب رسم شكل دائري مسطح - مثل طبق - على ورقة بيضاء، ثم تلوينه ورسم أشكال عليه¹ وهنا تعتبر تقنية تشكيلية تعمل ك جسر رمزي لاستكشاف أغوار الذات، حيث يُنظر إلى الدائرة كرمز للاحتواء والتوازن النفسي، اما رسم الدائرة وتلوينها يتجاوز كونه فناً؛ فهو وسيلة لتفريغ الطاقات السلبية وترتيب الأفكار داخل حيز منظم، يساعد هذا النشاط الطفل أو المسترشد على الدخول في حالة من الاسترخاء الذهني وزيادة القدرة على التركيز. وهي بذلك تعمل كقناة اتصال بين باطن الإنسان وعالمه الخارجي، مما يمنحه توازناً يسهل عملية العلاج وسط أجواء من الراحة والطمأنينة.

ب. **خربشات:** "أعطِ الطفل ورقة وقلمًا. اطلب منه أن يشخبط على أحد وجهي الورقة بيده التي يستخدمها عادةً. ثم اقلب الورقة، وشخبط على الوجه الآخر باستخدام يده الأخرى"² إن الهدف من جعل الطفل يخربش بيده الأساسية ثم الأخرى هو تحقيق التناغم بين شطري الدماغ، ويعتبر تحريك اليد غير المعتادة تحفيزاً لمراكز الخيال والانفعالات غير الواعية لدى الطفل. مما يساعد على كسر الحواجز الدفاعية والروتين الحركي المعتاد، ويعتبر تمرين للاسترخاء والتحفيز؛ يزيل التوتر ويفتح للطفل آفاق الخيال الحر والتعبير العفوي عن مشاعره.

ج. **المخاوف:** "اطلب من الطفل أن يكتب هماً يريد أن يتجاهله أثناء قيامه بالرسم، ثم اطلب منه أن يمزق الورقة باستخدام كلتا يديه" يقول نيلسون: "بصفتك أحد الوالدين، يمكنك أيضاً أن تسأل طفلك عن شكل شعور أو تجربة معينة. قد يرسمها بشكل واقعي أو تجريدي، لكنها يمكن أن تكون نقطة انطلاق ليخبرك بوجهة نظره." تتحول المخاوف من مجرد أفكار مشوشة إلى شكل ملموس عند كتابتها، حيث لا يقتصر

¹ ستايسي نيلسون، م، ن.

² ستايسي نيلسون، م، ن.

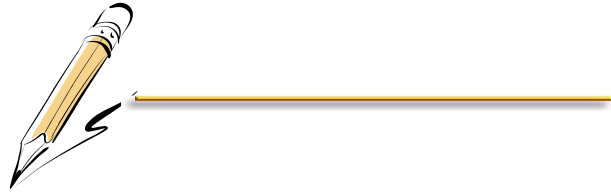
تمزيق الورقة على الجانب الحركي، بل هو دلالة قوية على استرجاع السيطرة، ووسيلة فعالة للتخلص من الضغوط النفسية. كما يجب ان يُعطى الطفل مساحة لترجمة أحاسيسه إلى رسومات ملموسة، مما يكسر حاجز الانغلاق ويحول الفن إلى أداة تواصل تُبسط للأهل والمعالجين قراءة خبايا نفسيته ومنظوره الشخصي.

3- تشجيع الأطفال على التحدث عن فنهم

يقول نيلسون: "إن ممارسة الفن كعائلة توفر فرصاً طبيعية للتفاعلات الاجتماعية الإيجابية مثل مشاركة المواد، ومشاركة المساحة، وتقديم المجاملات، أو حتى تقديم الاقتراحات إذا احتاج شخص ما إلى بعض المساعدة في حل المشكلات. أحياناً يكون من الأسهل التحدث عن أعمالنا الفنية بدلاً من التحدث عن أنفسنا"¹

ان استخدام الفن كنشاط عائلي يعزز من تقوية الروابط بشكل إيجابي بين الأطفال، مثل مشاركة المواد وتقديم المساعدة والثناء، ويتم تحفيز الأطفال على استكشاف الفن كقناة للتعبير الذاتي، حيث قد يكون التحدث عن أعمالهم الفنية أسهل من التحدث عن مشاعرهم مباشرة. ولإثراء هذا الطرح، يمكن توجيه أسئلة مثل: "أخبرني عن صورتك؟" أو "من أين استوحيت أفكارك؟" مع التركيز بشكل خاص على التعليق والتشجيع أثناء العملية الإبداعية مثلاً " لقد كانت محاولتك المتكررة لتعديل المسار ملهمة او أحبيك على حضورك الذهني العالي" بدلاً من تقييم العمل الفني نفسه، الهدف الأساسي هو التشجيع مع التأكيد على ان الأخطاء هي فرص للتعلم، وأن المواد الفنية مُعدّة للاستهلاك والاستمتاع بها.

¹ ستايسي نيلسون، م، ن.



الفصل الثالث

تطبيقات علاجية بالفن التشكيلي
عرض وتحليل حالات لبعض
الاضطرابات السلوكية

الفصل الثالث: تطبيقات علاجية بالفن التشكيلي:

عرض وتحليل حالات لبعض الاضطرابات السلوكية: "المركز البيداغوجي للأطفال المعاقين ذهنياً تلمسان"

◀ اسم مؤسسة الاستقبال: المركز النفسي البيداغوجي للأطفال المعاقين ذهنياً - الشهيد غالم محمد - تلمسان.

◀ تاريخ انطلاق التطبيق: تم إيداع الطلب والموافقة عليه بتاريخ 05 مايو 2026
 ◀ فترة التطبيق: تمتد الدراسة من تاريخ الموافقة إلى غاية استكمال الحالات الثلاث، تحت إشراف الطاقم الطبي والتربوي للمركز.

◀ بيئة الدراسة: أُجريت الجلسات العلاجية في قاعات المركز المخصصة للنشاطات اليدوية، في جو يسوده الهدوء لتجنب تشتت الحالات، خاصة الحالة (ق. أ) التي تعاني من فرط الحركة.

أولاً: الإطار المنهجي

وفقاً للخطة المعتمدة في مذكرتنا قمنّا، أنا وزميلي الباحث، بتطبيق المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة. لقد تم اختيار عينة قصدية مكونة من ثلاث حالات للأطفال المشخصين داخل المركز النفسي البيداغوجي وهما:

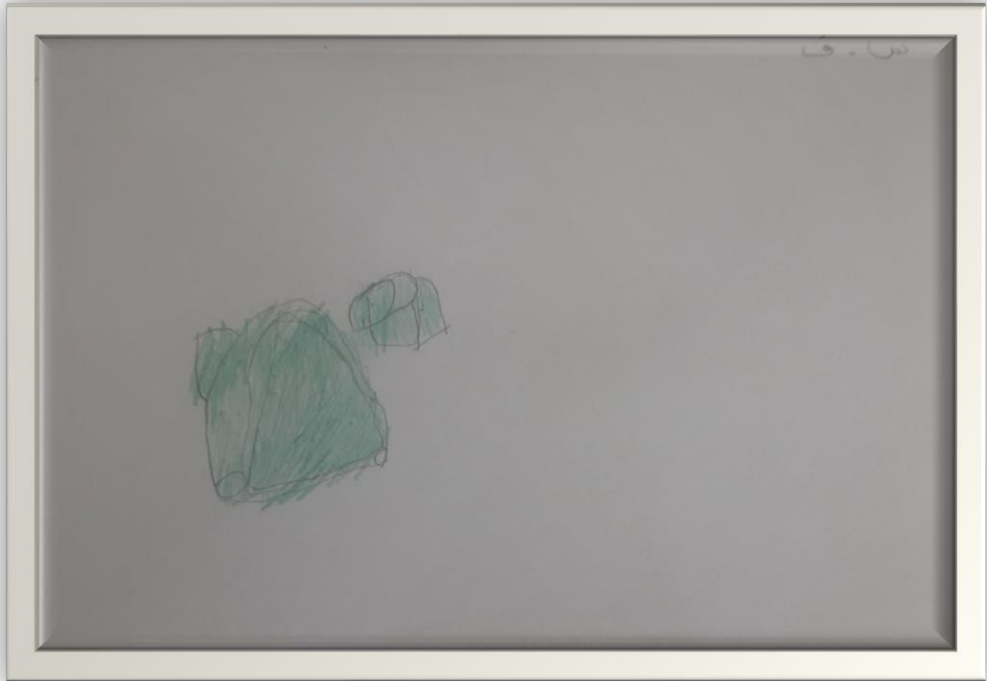
(ي. ر) نوع الاضطراب هو "فرط الحركة"

_ الوثيقة 01



(س. ف) نوع الاضطراب هو "تأخر ذهني"

_ الوثيقة 02



(ق. أ) نوع الاضطراب هو " التوحد "



_ الوثيقة 03

1. أدوات الدراسة:

- الوسائل والمواد المستخدمة (Le Matériel).
- ورق رسم من نوع (Canson) مقاس A4.
- أقلام تلوين خشبية.

2. لجمع البيانات الأولية وتحليل الرسومات، اعتمدنا على:

- الملاحظة العيادية: لمراقبة سلوك الطفل، مستوى الاندفاعية، والجهد المبذول أثناء الرسم.
- المقابلة العيادية: تمت مع المختصين المتابعين للحالات لجمع المعلومات التشخيصية الأساسية
- النفسي العيادي: السيد زبير محمد رضوان

- **المربي المتخصص:** السيد حجام حسام
- **النفساني أخصائي ارطفوني:** بودلال زهير
- **الاختبار الإسقاطي:** استخدمنا "اختبار رسم العائلة" (Test de dessin de la famille) لـ "لويس كورمان" (L. Corman)، بصفته الأداة الأنسب لاستكشاف الروابط العاطفية والصراعات اللاواعية داخل المحيط الأسري للطفل.

ثانياً: عرض الحالات والتحليل الإسقاطي للرسومات

قمنا بتطبيق اختبار رسم العائلة على الحالات الثلاث، وكانت النتائج كالتالي:

أ. الحالة الأولى: "ي. ر" (اضطراب توحّد)

(انظر الرسم: الوثيقة 01)

1. **وصف الرسم والملاحظة (أثناء الرسم):** يظهر في الرسم بيت كبير، وبجانبه توجد أشكال آدمية مرسومة بأسلوب البدائية أو الخطوط المتصلة. نلاحظ أن الأشخاص مرسومون بملامح وجه غائبة أو غير مكتملة، مع تداخل كبير بين أجسادهم والخطوط المحيطة بهم.

2. التحليل النفسي العيادي (بناءً على خصوصية التوحّد):

تلاشي الحدود (Erosion of Boundaries): رسم الأشخاص ملتصقين ببعضهم أو متداخلين مع هيكل البيت يعكس عيادياً "ضعف إدراك الحدود بين الأنا والآخر". طفل التوحّد غالباً ما يجد صعوبة في تمييز جسده ككيان منفصل، لذا يدمج الأشخاص في المحيط.

3. غياب الملامح (L'absence de traits faciaux): رسم الأشخاص بدون

عيون أو أفواه واضحة يرمز إلى "صعوبات التواصل الاجتماعي البصري". في

ذهن طفل التوحد، الوجه ليس مصدراً للمعلومات أو العواطف، لذا يسقطه في الرسم ككتلة غامضة.

4. استنتاج دور الفن التشكيلي (المقارنة):

- قبل: كان التواصل مع "ي. ر" مستحيلاً لأنه يعيش في عالمه الخاص، ولا نعرف كيف يدرك وجود عائلته.
- بعد الرسم: من خلال هذا العمل، "ي. ر" لم يحذف عائلته، بل أظهر لنا كيف يراهم: يراهم ككتل متداخلة غير واضحة الملامح.
- الفائدة العلاجية: الرسم هنا سمح لنا بفهم "الخريطة الذهنية" للطفل، مما يساعدنا كباحثين على البدء في بناء "جسور تواصل" من خلال الألوان أولاً، ثم دفعه تدريجياً لتمييز ملامح الأشخاص، وهو ما يعد تقدماً كبيراً في حالته النفسية.
- الخلاصة: وجود الأشخاص في رسم طفل التوحد بملامح "مشوهة" أو "مبهمة" هو تشخيص عيادي أعمق من حذفهم، لأنه يكشف لنا عن طبيعة الخلل في التواصل الإدراكي لديهم.

ب. الحالة الثانية: س.ف (تأخر ذهني)

(انظر الرسم: الوثيقة 02)

1. وصف الرسم والملاحظة (أثناء الرسم):

أنهى "س. ف" الرسم بسرعة وبدون اهتمام واضح بالتفاصيل. يتكون الرسم من شكلين هلاميين غير منتظمين، مصبوغين باللون الأزرق المخضر الفاتح، يشبهان "صخوراً" أو أشكالاً عضوية مبهمّة، مع غياب للأشخاص والهيكل المكاني (البيت).

2. التحليل النفسي (بناءً على معايير النمو ومراجع العلاج بالفن):

- الأشكال المبهمة وحذف الأشخاص: تعكس هذه الرسومات "تراجعاً نمائياً" عيادياً" (Régession Clinique) وعدم اكتمال مخطط الجسم (Schéma

- (corporel)، وهو متوقع لدى الأطفال ذوي التأخر الذهني المتوسط إلى الشديد. الرسم يدل على عجز في الإدراك المكاني وضعف في المهارات الحركية الدقيقة.
- **الدلالة اللونية:** اختيار اللون الأزرق الفاتح يوحي بالهدوء، لكنه هنا يعكس أيضاً "الانعزال العاطفي" وغياب الدافعية.

3. استنتاج دور الفن التشكيلي (مقارنة وهمية لاستنتاج الفائدة):

- قبل: كان يعاني من ضعف شديد في الاندماج الحركي البصري وقصور في التفاعل.
- بعد حصص الرسم: ساهم الفن التشكيلي كتمرين ميكانيكي (Sensory-Motor) في تحسين التآزر البصري الحركي وتعزيز إدراك مخطط الجسم لديه، مما قلل من حدة تراجع النمى.
- ج. الحالة الثالثة: ق.أ (فرط الحركة ونقص الانتباه)

(انظر الرسم: الوثيقة 03)

1. وصف الرسم الدقيق (الملاحظة العيادية):

- يظهر في رسم "ق.أ" أربعة أشخاص مرسومين بأسلوب "الرجل العصا" (Stick figures)، مصطفين بشكل عمودي (أو مائل قليلاً). نلاحظ بوضوح ما يلي:
- **تدرج الحجم:** الأشخاص مرسومون بأحجام متفاوتة جداً، من الأكبر (في الأسفل) إلى الأصغر (في الأعلى).
- **تفاصيل الرأس:** الشخصية الأكبر (التي قد تمثل الأم أو الأب) لديها شعر كثيف ومنتصب مرسوم بخطوط سريعة، بينما بقية الشخصيات رؤوسها دائرية بسيطة مع ملامح وجه بدائية جداً (نقاط للعينين ودائرة للفم).
- **البيت:** رسم بيتاً صغيراً جداً في زاوية الورقة، ملوناً باللون الأحمر مع سقف مائل، وبجانبه ما يشبه "الأرجل" أو الخطوط الخارجة منه، مما يعطي إيحاءً بأن البيت "يتحرك" أو "غير مستقر".

2. التحليل النفسي العيادي (بناءً على مراجع العلاج بالفن):

- **الاندفاعية والحركية (Impulsivity):** رسم الأشخاص كـ "عصي" وبسرعة فائقة يعكس سمة "العجلة" لدى طفل فرط الحركة. هو لا يملك الصبر الكافي لرسم أجساد كاملة أو تفاصيل ملابس، بل يكتفي بالهيكل العظمي للشخص لينهي المهمة بسرعة.
- **تضخم الرأس والشعر المنتصب:** الشخصية الكبيرة ذات الشعر المنتصب تعكس إدراك الطفل لـ "القلق أو التوتر" الموجود في المحيط الأسري. الخطوط الحادة للشعر ترمز عيادياً إلى "الكهرباء النفسية" أو الانفعالات المتفجرة التي قد يواجهها الطفل كوردود فعل على سلوكه الحركي.
- **البيت "المتحرك":** رسم البيت بحجم صغير جداً مقارنة بالأشخاص، ووضع خطوط توحى بالحركة أسفل، يعكس شعور الطفل بـ "عدم الاستقرار المنزلي". طفل فرط الحركة غالباً ما يشعر أنه في حالة تنقل دائم أو أن بيئته لا تستوعب حركته، لذا يظهر البيت في حالة "عدم ثبات".
- **توزيع الأشخاص:** اصطفا فافهم بهذا الشكل يوحى بوجود مسافات عاطفية، حيث لا توجد أيدي متشابكة، مما يدل على ضعف الروابط الوجدانية الحميمة في إدراكه الحالي.

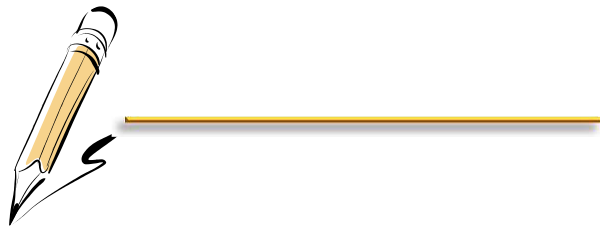
3. استنتاج دور الفن التشكيلي في الحالة (المقارنة):

- **قبل التدخل:** كان "ق. أ" يفرغ طاقته في تخريب الأشياء أو الحركة العشوائية التي تزعج المحيطين به، مما يسبب له ضغطاً نفسياً.
- **بعد حصص الرسم:** وفر له الرسم "قناة تفريغ حركي مقنن". بدلاً من الجري في الغرفة، أصبح يفرغ اندفاعيته في الخطوط الحادة والسريعة على الورق.
- **الفائدة العلاجية:** لاحظنا أن الطفل بعد إنهاء الرسم يشعر بحالة من "الهدوء النسبي". الفن التشكيلي هنا عمل كـ "منظم إيقاع"؛ حيث تحول التششت الذهني إلى شكل

بصري ملموس، مما ساعده على التركيز لفترة أطول قليلاً في كل مرة، وهو هدف أساسي في علاج نقص الانتباه.

• **ملاحظة لنا كباحثين:** هذا الرسم هو "بروفایل" كلاسيكي لطفل ADHD، حيث تسبق اليدُ العقلَ في التنفيذ، وتظهر الصراعات من خلال أحجام الرؤوس وخطوط الشعر المتوترة.

Corman, L. (1964). Le test du dessin de la famille. Paris: PUF

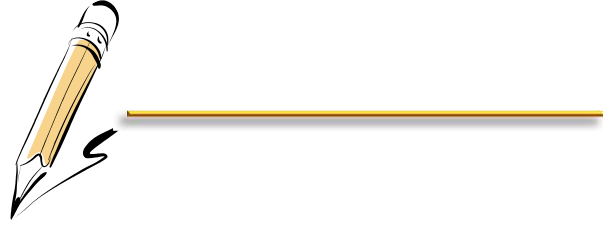


الخاتمة

لقد سعت هذه الدراسة إلى استكشاف "ماهية الفن" وتطوره الفلسفي عبر العصور، بدءًا من نظرية المحاكاة اليونانية، مرورًا بالفن كعلم ومعرفة بصرية في عصر النهضة، وصولًا إلى الفن كتعبير وانفعال وجداني في الفلسفات الحديثة والمعاصرة. وقد كشفت الدراسة عن الطبيعة المتعددة الأبعاد للفن، مؤكدة على كونه ضرورة وجودية وحاجة أنطولوجية متجذرة في التكوين البشري، تتجاوز مجرد الترف الفكري لتلامس جوهر الروح ومكامن الانفعال.

تأكيدًا على هذه الأهمية، تناولت الدراسة "سيكولوجية التعبير الفني لدى الأطفال"، مركزة على دور الفن التشكيلي، وخاصة الرسم، كوسيلة علاجية وتطهيرية. وقد أظهرت النتائج التطبيقية، من خلال تحليل حالات الأطفال، أن الفن التشكيلي يمثل قناة فعالة لتفريغ الطاقات الانفعالية، وتحسين التآزر البصري الحركي، وتعزيز إدراك مخطط الجسم، بالإضافة إلى دوره كمنظم إيقاعي يساعد على التركيز وتخفيف الاندفاعية لدى الأطفال الذين يعانون من اضطرابات مثل فرط الحركة ونقص الانتباه. هذه النتائج تؤكد على الأهمية البالغة لإدماج الفن في البرامج العلاجية والتربوية، بما يسهم في النمو النفسي والعصبي المتكامل للطفل.

وفي الختام، توصي الدراسة بضرورة تعميق البحث في آليات العلاج بالفن وتطبيقاته المتنوعة في السياقات الثقافية المختلفة، مع التركيز على تطوير برامج تدخل فني موجهة للأطفال، تستند إلى أسس علمية وفلسفية راسخة. كما تدعو إلى إيلاء المزيد من الاهتمام للفن كأداة تشخيصية وعلاجية في المؤسسات التربوية والصحية، بما يعزز من جودة الحياة النفسية للأفراد والمجتمعات.



قائمة المَصَادِر والمَرَاِجِع

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. ابن منظور: "لسان العرب"، المجلد الثالث عشر، مادة (ف ن ن)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1994.
2. آرثر شوبنهاور: "العالم إرادة وتصور"، ترجمة سعيد توفيق، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.
3. أرسطو: "فن الشعر"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973.
4. إرنست جومبريتش: "قصة الفن"، ترجمة عارف حنيفة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2017.
5. أفلاطون: "الجمهورية"، ترجمة شوقي داود تماراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، الكتاب العاشر.
6. أنور الحمادي: معايير DSM-5، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015).
7. أوس حسين علي: الموسيقى من الألف إلى الياء، مكتبة عالم المعرفة للطباعة والنشر، بغداد، 2016.
8. ت. س. مورياما وآخرون: "اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة"، فصل في: ج. م. ري (محرر)، الكتاب المرجعي للاتحاد الدولي للطب النفسي للأطفال والمراهقين والمهن المرتبطة به في الصحة النفسية للطفل والمراهق، ترجمة: سعاد موسى، (جنيف: الاتحاد الدولي للطب النفسي للأطفال والمراهقين والمهن المرتبطة به، 2012).
9. جورج ماذر: سيكولوجية الفن، ترجمة: محمد سالم عبادة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، 2023.
10. حسن، مصطفى محمد عبد العزيز: سيكولوجية التعبير الفني عند الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية.
11. خواني زهرة: "مساهمة الدراسات المتخصصة في علاج أطفال التوحد من خلال الفن التشكيلي"، مجلة النص، مج 09 (ع 01)، 2022.
12. روبن، جوديث آرون: (2021). العلاج بالفن للأطفال. ترجمة: شاكِر عبد الحميد. الرياض: دار أدب.
13. زكريا إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر.
14. صلاح الدين أبو عيَّاش: معجم مصطلحات الفنون، دار أسامة، الأردن عمان، 2005 ط1، ج1.
15. عبد المطلب أمين القريطي: سيكولوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005).

16. عبد المطلب أمين القريطي: مدخل الى سيكولوجية رسوم الأطفال (القاهرة: دار الفكر العربي، 2005).
17. عبلة حنفي عثمان: "فنون أطفالنا"، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة النهضة العلمية، 1989م.
18. العوادي ضرغام: المحاضرة الأولى: التخطيط والألوان. محاضرة جامعية. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المعهد التقني، النجف الأشرف، قسم: التصميم والتزيين المعماري.
19. مجد الدين الفيروز آبادي: "القاموس المحيط"، مادة (فنن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005.
20. مها البريكان: العالج بالفن مدخل إلى الصحة النفسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2020 ط 1.
21. الهندي منال عبد الفتاح: مدخل الى سيكولوجية رسوم الأطفال، عمان: دار المسيرة، 2009.
22. هيربرت ريد: "معنى الفن"، ترجمة سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

المجلات:

1. خواني زهرة: "مساهمة الدراسات المتخصصة في علاج أطفال التوحد من خلال الفن التشكيلي"، مجلة النص، مج 09 (ع 01)، 2022.
2. "رامي نجيب حداد: "أثر تعليم الموسيقى في المدرسة على الصحة النفسية للطلبة وتحفيزهم على التعلم"، دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد 17، ديسمبر 2016.
3. صغيري، ر. و.، وقاسم، ب: (2024). استراتيجيات العلاج بالفن وأثرها في علاج التوحد الطفولي. المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 08(01)، 200-219.
4. عبد الوهاب، أماني عبد المقصود، شعبان، عبير عبد الله، وأبوقورة، فاطمة محمد عبد اللطيف: (2017). برنامج مقترح قائم على العلاج بالفن (الخزف) لخفض قصور الانتباه وفرط الحركة لدى عينة من الأطفال. المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد العاشر (الجزء الثاني)، 437.
5. علي نجم عبد الله مشاري: "أثر التربية الموسيقية في تنمية وتعزيز الذكاء الموسيقي عند الأطفال"، مجلة نابو للبحوث والدراسات، المجلد 37، العدد 47، جويلية، 2024.

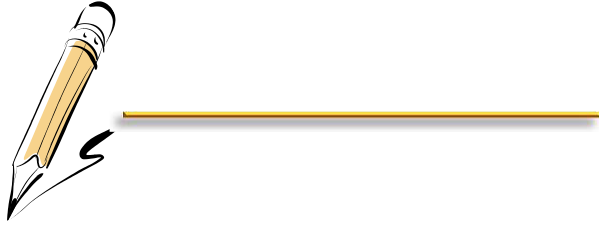
6. وهيبة جنون: "تأثير الرسم في تحسين الأداء القرائي من خلال تحسين القدرة الفونولوجية لدى الأطفال عسيري القراءة"، مجلة تنمية الموارد البشرية، جامعة سطيف 2، المجلد 5، العدد 2، 2013.

المذكرات:

1. سليمان حسين وتواتي إبراهيم عيسى، "تطور الرسم عند الطفل ودلالاته السيكلوجية"، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، جامعة وهران.
2. مجدوب أسماء، "نشاط الرسم ودوره في تطوير الجوانب المعرفية والوجدانية لدى تلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، تخصص إرشاد وتوجيه تربوي، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل، السنة الجامعية 2018-2019.

المواقع الإلكترونية:

1. أميرة عبد الرازق: "العلاج بالفن.. عزز صحتك النفسية بالرسم والتلوين"، موقع الكونسلتو، 23 يوليو 2018، شوهد في 30 أبريل 2026، متاح على الرابط: <https://www.elconsolto.com/psychiatric/psychiatric-news/details/2018/7/23/1397756>
2. أمينة أبروش: "العلاج النفسي خارج العيادة.. دور فنية في الجزائر تقدم وسائل للمساعدة"، موقع الميادين نت، 7 تموز 2022، شوهد في 1 مايو 2026، متاح على الرابط: <https://www.almayadeen.net/society/العلاج-النفسي-خارج-العيادة>
3. إياد محمد جاسم: "الرسم وفوائده العلاجية للأطفال"، مجلة المنال الإلكترونية، مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، منشور بتاريخ 1 أكتوبر 2015، على الرابط: <https://almanalmagazine.com/?p=4775> (تاريخ الاطلاع: 3 مايو 2026).
4. ستايسي نيلسون، "دليل الآباء لتقنيات ومشاريع العلاج بالفن"، ADDitude، 8 يناير 2025، <https://www.additudemag.com/art-therapy-projects-activities-adhd-children>.
5. عيصام إل: (aissam el) الرسم، [مستند إلكتروني]، موقع Scribd، اطلع عليه بتاريخ: 2026/05/02، متاح على الرابط: <https://www.scribd.com/document/937260747/11>.
6. مستشفى فيجتاني الدولي: (بدون تاريخ). اضطراب نقص الانتباه وفرط الحركة (ADHD) أو AD/HD أو ADD. تم الاسترجاع في 7 مارس 2026، من [URL].
7. معالج - بالفن - كل - ما - تريدون - معرفته <https://lookinmena.com/> 2026_04_30



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	الاهداء
	شكر وعرفان
(أ-ج)	مقدمة
	الفصل الأول: ماهية الفن وأنواعه
6	المبحث الأول: ماهية الفن وأنواعه
14	المبحث الثاني: مظاهر الفن وأنواعه
	الفصل الثاني: المقاربة السيكلوجية والتحليلية للفن التشكيلي كآلية علاجية للأطفال
24	المبحث الأول: سيكلوجية الفن وتجلياتها العلاجية
51	المبحث الثاني: سيكلوجية التعبير الفني عند الأطفال
56	المبحث الثالث: نماذج من الاضطرابات النفسية والسلوكية ودور الفن في علاجها
	الفصل الثالث: تطبيقات علاجية بالفن التشكيلي:
84	عرض وتحليل حالات لبعض الاضطرابات السلوكية: "المركز البيداغوجي للأطفال المعاقين ذهنياً تلمسان"
85	أولاً: الإطار المنهجي
88	ثانياً: عرض الحالات والتحليل الإسقاطي للرسومات
94	الخاتمة
97	قائمة المصادر والمراجع
102	فهرس المحتويات

ملخص البحث:

يبحث هذا العمل في دور الفنون التشكيلية كوسيلة علاجية نفسية للأطفال، حيث يُنظر إلى الفن باعتباره لغة رمزية وجمالية تساعد على التعبير عن المشاعر الداخلية والتواصل مع الذات والآخرين. يوضح البحث كيف يمكن للفن أن يساهم في تخفيف القلق، معالجة الصدمات النفسية، وتنمية القدرات الإدراكية والعاطفية لدى الطفل. كما يبرز أهميته في تعزيز الثقة بالنفس، تحسين العلاقات الاجتماعية، وتطوير مهارات التكيف مع الضغوط اليومية. ويؤكد أن ممارسة الفن التشكيلي تمنح الطفل مساحة آمنة للتعبير الحر عن مشاعره المكبوتة، مما يجعله أداة علاجية فعّالة ومكملة للطرق التقليدية في العلاج النفسي.

الكلمات المفتاحية: الفن التشكيلي، العلاج النفسي، الأطفال، المقاربة السيكلولوجية.

Abstract :

This work examines the role of plastic arts as a psychotherapeutic tool for children, where art is seen as a symbolic and aesthetic language that helps to express feelings and connect with oneself and others. Research shows how art can contribute to anxiety relief, trauma management, and the development of a child's cognitive and emotional abilities. It also highlights its importance in boosting self-confidence, improving social relationships, and developing coping skills with daily stress. He emphasizes that the practice of fine art gives the child a safe space to freely express his repressed feelings, making it an effective therapeutic tool and complementing the traditional methods of psychotherapy.

Keywords:

Fine art, Psychotherapy, Children, Psychological approach